التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية

إعداد: سحر شفيق علي محمد الشميري

باحثة في برنامج الدكتوراه قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية – جامعة عدن

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبدالله -ﷺ- المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

ثم أما بعد :

تُعدَّ الثقافة الإسلامية من أرقى الثقافات الموجودة في العالم ؛ إذ تستقي ينابيعها من القرآن الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة، حيث تتكون من مجموعة من القيم، المبادئ، والقوانين، والتشريعات، التي تنتظم حياة الأفراد داخل المجتمع المسلم، وبالمقابل تتعرض لكثير من التحديات من قبل أعداء الإسلام والمسلمين، وذلك من أجل طمس معالمها وتشويهها بمجموعة من الأفكار التي جاءت من الغرب، فقد تناولت الباحثة موضوع البحث المعنون ب التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية، وجاء في ثلاث مباحث وخاتمة.

Summary

This research focuses Qur'anic interpretation , specifically on lnterpretative lssues according to Al – Raghib Al- lsfahani in his book Al- Mufradat fi Gharib Al – Qur'an .

The study consists of an in troduction , a preface , three main chapters , and a conclusion .

The introduction Outlines the research problem , purpose , and structure .

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق الصادق الأمين محمد بن عبد الله- ﷺ- المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

ثم أمَّا بعد :

تُعدَّ الثقافة الإسلامية من أرقى الثقافات الموجودة في العالم؛ إذ تستقي منابعها من مصدرين مهمين ومهما: القرآن الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة، إذ تحوي في طياتها العديد من القيم والأخلاق، والقواعد، والتشريعات، والمبادئ التي تنظم حياة الأفراد داخل المجتمع المسلم، و بالمقابل تتعرض الثقافة الإسلامية في وقعنا المعاصر إلى العديد من التحديات المختلفة، بحيث تستهدف الإسلام والمسلمين، ومحاولة لطمس هوية الإسلام والإرث الثقافي الذي تحويه ؛ فاتخذ أعداء الإسلام العديد من الوسائل لشق صفوف المسلمين داخل بلدانهم، وذلك من خلال اللجوء إلى وسائل خبيثة للتأثير على المسلمين، وخاصة باستهداف فئة الشباب، وشحنهم بأفكار وقيم تهدف إلى تدميرهم أخلاقياً وسلوكياً.

إنَّ الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري، وذلك لأنَّ الغزو العسكري بغيض إلى النفوس؛ لأنَّه مرتبط بسفك الدماء وإزهاق الأرواح، ويهدف إلى القهر، والسيطرة، والغلبة على الشعوب المستعمرة بالإكراه والقوة المسلحة، ومن أجل ذلك فإنَّه يُقابل بالكراهية الشديدة، ويلقى المقاومة المستمرة بكل أنواع الكفاح المسلح.

إنَّ الغزو الفكري يهدف إلى تدمير العقول والإفهام، لتكون تابعة للغازي، ويتسلل إليهم قبصمت ونعومة، فيقبلون عليه عن طواعية، ورضا، وحب، واقتناع، دون أنَّ تظهر منهم مقاومة، أو تمرد على الغزاة، ويتميز الغزو الفكري بأنَّه يعتمد على الفكرة والكلمة، والرأي، والحيلة، والنظريات، والشبهات، وخلابة المنطق، وبراعة العرض، وشدة الجدل، ولدادة الخصومة، وتحريف الكلم عن مواضعه، وغير ذلك مما يقوم مقام السيف والصاروخ،

وبناء على ذلك فقد أحببتُ الخوض في هذا البحث المتواضع وهو التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية، ويتكون من الآتي:

أولاً : مشكلة البحث .

تتجسد مشكلة البحث في عدة تساؤلات يمكن صياغتها كالآتي:

1- **كيف يمكن ترسيخ الثقافة الإسلامية في ذهن الشباب المسلم ؟**
2- **ما هي الأسباب التي جعلت المسلمين يتلقون الثقافة الغربية ؟**
3- **كيف انتقلت الثقافة الغربية إلى بلاد المسلمين ؟**
4- **ما هي الوسائل التي استخدمها الغرب لتدمير الإسلام والمسلمين ؟**

ثانياً : أسباب اختيار البحث.

إنَّ من أهم الأسباب التي دعتني للخوض في هذا البحث وهي كالآتي :

1- **إثراء المجلة العلمية بهذا الموضوع .**
2- **بيان الفروق بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية .**
3- **بيان خطر الثقافة الغربية على الإسلام والمسلمين .**
4- **ضعف المسلمين في مواجهة الثقافة الغربية .**
5- **تأثير الغرب على المسلمين في جميع مناحي الحياة .**

ثالثاً : أهداف البحث .

يستهدف البحث الأمور الآتية :

1- **تأثير الغزو الفكري على المسلمين .**
2- **تأثير العلمانية، وتأثرها على الشباب المسلم**
3- **تأثير العولمة وهيمنتها على بلاد المسلمين .**
4- **بيان الخطر على الإسلام والمسلمين .**
5- **موقف علماء الإسلام من الغزو الفكري، والعلمانية، والعولمة .**

رابعاً : الدراسات السابقة للبحث .

من خلال القراءة والبحث عن دراسات سابقة فيما يتصل بعنوان بحثي المتواضع فوجدت كالآتي :

1- **العلمانية المعاصرة مخاطرها وسبل مواجهتها، إيمان طلال أحمد، رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية، كلية أصول الدين جامعة غزة، (1434هـ – 2014 م) .**

2- **أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته، محمد هلال الصادق هلال، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين - جامعة القاهرة - ، (1421هـ - 2000م) .**

وأما الجديد في بحثي المتواضع ينحصر في الآتي :

1- **بيان خطر كلا من الغزو الفكري والعلماني والعولمة الإسلام والمسلمين.**

2- **استهداف كيان المجتمع المسلم من خلال تدمير للقيم والمبادئ والنظم والقوانين التي جاء بها الإسلام .**

3- **نشر الثقافة الغربية في أوساط الشباب .**

4- **محاولة تشويش الإسلام والطعن فيه بالعديد من التهم .**

خامساً : منهج البحث .

لقد اعتمدت في بحثي المتواضع على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي الاستنباطي نظراً لطبيعة البحث .

سادساً : خطة البحث .

المبحث الأول: التعريف بالثقافة الإسلامية وخصائصها

المبحث الثاني: الغزو الفكري، ودوافعه، وميادينه، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الغزو الفكري .

المطلب الثاني : دوافع الغزو الفكري .

المطلب الثالث : نجاح الغزو الفكري .

المطلب الرابع : شبهات المستشرقين للغزو الفكري .

المطلب الخامس : موقف علماء الإسلام من الغزو الفكري .
المبحث الثالث : العلمانية، ونشأتها ، ودوافعها ، وآثارها ، وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : تعريف العلمانية .
المطلب الثاني : نشأة العلمانية وانتشارها وانتقالها إلى بلاد المسلمين .
المطلب الثالث : آثار العلمانية .
المطلب الرابع : موقف علماء الإسلام من العلمانية .
المبحث الرابع : العولمة، وأهدافها ، ومجالاتها ، وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : تعريف العولمة، المطلب الثاني : أهداف العولمة، المطلب الثالث : مجالات العولمة، المطلب الرابع : موقف علماء الإسلام من العولمة .
رابعاً : الخاتمة، وفيه :
النتائج والتوصيات .
قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول
التعريف بالثقافة الإسلامية وخصائصها
المطلب الأول
تعريف الثقافة الإسلامية

أ- تعريف الثقافة لغة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - : " ثقف مصدر الثقافة، وفعله ثَقِفَ إذا لزم ، وثقف الشيء وهو سرعة تعلمه، وقلب ثُقف أي : سريع التعلم والتفهم" [1] .

وقال الأزهري - رحمه الله -: "ورجل لقف ثقف، أي: سريع الفهم لما يُرمى إليه من كلام باللسان، وسريع الأخذ لما يرمَى إليه باليد" [1]

[1] - العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (مادة : ثقف)، (5/ 139) .

قال ابن فارس - رحمه اللّه -: "ثقفت الشيء: أقمت درأه، وثقفتُ القناة، ورجل ثقفٌ، وثقفتُ فلاناً في الحرب: أدركته"[2].

وقال ابن دريد[3] - رحمه اللّه - : "استعمل منها ثقفت الشيء ثقافة وتفوقه إذا حذقته، ومنه أخذت الثقافة بالسيف " [4] .

وقال القاضي عياض[5] - رحمه اللّه -: وغلام ثقف أي: فطن مدرك لحاجته بسرعة، ولقن حافظ"[6].

وقيل : إنَّ أصل كلمة الثقافة في اللغة العربية مأخوذة من الفعل ثقُف بضم القاف وكسرها،

وعلى ذلك فالفعل ثقُف له معان كثيرة في المعاجم والقواميس العربية، ومن هذه المعاني كالآتي[7]:

- **الحذق والفطنة ، نقول : ثقف الرجل - أي أصبح حذقاً وفطيناً-.**

---

[1] - تهذيب اللغة، الأزهري، (مادة : ثقف)، (9 / 131) .

[2] - مجمل اللغة، ابن فارس، (مادة ثقف)، (1 / 161) .

[3] - هو : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أزد عمان من قحطان، يُعد من أئمة اللغة والأدب، ولد في البصرة سنة 223ه، ثم أنتقل إلى عمان فمكث فيها 12 سنة، ثم عاد إلى البصرة، ثم بعد ذلك رحل إلى فارس، ثم استقر في بغداد إلى أن توفي فيها سنة 321ه، ومن أشهر كتبه : (جمهرة اللغة، المقصور والممدود، والاشتقاق، الأماني ... الخ، ينظر : تاريخ بغداد، الذهبي، (2/ 195)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (4/ 323) الأعلام، الزركلي، (6/ 80) .

[4] - جمهرة اللغة، (429/1) .

[5]- هو : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض ابن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، ولد بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة 476 ه، إمام وقته في الحديث، وعلومه، والنحو، واللغة و، كلام العرب، وأيامهم، وأنسابهم، تولى القضاء بغرناطة، وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، وقيل في شهر رمضان سنة 544 ه، ودفن بباب إيلان داخل المدينة، أشهر التصانيف المفيدة منها : (الإكمال في شرح كتاب مسلم) ، (مشارق الأنوار) ، (التنبيهات) ينظر ترجمته : أنباه الرواة، القفطي، (2 / 363)، تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، (ص 1304)، بغية الملتمس، صلاح الدين العلائي، (ص 1296)، وقلائد العقيان: 222 والديباج المذهب: 168 الإحاطة، لسان الدين ابن الخطيب، (2 / 167)، النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، (ص 874)، شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، (ص 1089) .

[6] - مشارق الأنوار، القاضي عياض، (مادة : ثقف)، (1 / 134) .

[7]- ينظر : أساس البلاغة، الزمخشري، (مادة : ثقف)، (15/1)، لسان العرب، ابن منظور، (مادة : ثقف)، (20/9)، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (مادة : ثقف)، (521/3)، المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، (مادة : ثقف)، (98/1) .

- **ومنها سرعة أخذ العلم وفهمه، نقول : ثقف الطالب -أي فهمه بسرعة-.**
- **ومنها التهذيب والتأديب، نقول : ثقف المعلم الطالب -أي هذبه وأدبه-.**
- **ومنها تقويم المعوج من الأشياء، نقول : ثقف الصانع الرمح – أي سوى اعوجاجه –.**
- **ومنها إدراك الشيء والحصول عليه، ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ {البقرة: ١٩١} ووجه الدلالة من الآية قال القرطبي[1] - رحمه الله -: " تدل على الأسر والظفر بالعدو، فيكون المعنى، تأسروهم وتفدون عليهم وتغلبوهم"[2].**

وبناءً على ذلك نستنتج أنَّ الثقافة لها الكثير من الاستعمالات اللغوية، التي تدل على الحذق والفطنة، وسرعة أخذ العلم وفهمه، وتقويم المعوج من الأشياء؛ فالحذق والفطنة إذا كان الفعل متعدياً مثل قولنا : ثقف الرجل، وأما إذا دل على التهذيب إذا كان متعدياً كقولنا ثقف المعلم الطالب، فالثقافة تطلق على سبيل المجاز على الأمور المادية كقولنا ثقف الصانع الرمح، كما تطلق على الأمور المعنوية مثل إطلاق كلمة تثقيف على التهذيب والتربية.

---

[1] - هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي وكان فقيه، و مفسر، وعالم باللغة وُلد في مدينة قرطبة سنة 600 ه، وقد رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية، ثم إلى صعيد مصر حيث استقر فيه، وكان - رحمه الله - فقيه، و مفسر، وعالم باللغة عالمًا كبيرًا منقطعاً إلى العلم منصرفًا عن الدنيا ؛ فترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتابًا مابين مطبوع ومخطوط، توفي ودفن في صعيد مصر سنة 671 ه، ومن أشهر مصنفاته : (الجامع لأحكام القرآن الكريم)، (التذكرة بأحوال الموتى؛ أحوال الآخرة)، (التذكار في أفضل الأذكار)، (التقريب لكتاب التمهيد)، ينظر ترجمته : نفح الطيب، المقري التلمساني، (1 / 428) ، تاريخ دمشق، شمس الدين الذهبي، (15 / 229)، الديباج المذهب، ابن فرحون، (3 / 308) ، التحفة اللطيفة، عبد الرحمن السخاوي، (2 / 557) .

[2] - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (30/8) .

ب- تعريف الثقافة اصطلاحاً:

تُعد كلمة الثقافة في معناها الاصطلاحي أوسع من معناه اللغوي، وذلك لأنَّ كلمة الثقافة لا يستطيع تعريفها بمفردها ؛ لأنَّها ذات معان ودلالات، فمن هنا تبرز مشكلة تعريف الثقافة تعريفاً جامعاً مانعاً ؛ إذ يضيق التحديد اللفظي من حيث استيعاب المضمون الضخم الواسع المتشعب، الذي تدل عليه كلمة الثقافة، فهي كلمة ذات أبعاد كبرى، ودلالات كثيرة، وإيحاءات متعددة، وتعني في إطارها العام آفاقاً ومستويات تتعلق بالفكر والسلوك والنظم والعلاقات الإنسانية، وهي آفاق ومستويات يضيق المدلول اللغوي عن ضبطها أو حصرها ، أو بتعبير آخر عن احتوائها ، فلا بد إذا من تجاوز النطاق اللغوي – من حيث أصل الكلمة واستعمالاتها – إلى النطاق الفكري العام، عند محاولة تعريف الثقافة الذي يشمل جوانبها المتعددة وآفاقها المتنوعة، واليوم بعد شيوع مصطلح الثقافة في الاستخدام في أكثر من مجال ؛ فمن الصعب أنَّ يجد الإنسان تعريفاً جامعاً مانعاً متفقاً عليه للثقافة وذلك لثلاثة أسباب رئيسية وهي[1] :

- **السبب الأول : اختلاف تخصص واهتمام من يعرف الثقافة، فعالم الاجتماع حين يعرفها يعطيها معنى يختلف عن معنى يختلف عن المعنى الذي يعطيه لها عالم السياسة أو الاقتصاد أو النفس أو التربية.**
- **السبب الثاني : اختلاف المدارس الفكرية والاتجاهات الثقافة العالمية حول تعريف الثقافة، وذلك نظراً لاختلاف وجهات نظر كل واحد منها ، فقد أشار مالك بن نبي إلى ثلاث مدارس :**

الأولى : المدرسة الرأسمالية (الغربية) ، التي ترى أنَّ الثقافة انعكاس لفلسفة الفرد والنظرية إليه.

1 - مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي، (ص37) .

الثانية: المدرسة الشرقية، ذات الجذور الماركسية التي ترى أن الثقافة لفلسفة المجتمع والنظرة إليه.

الثالثة: المدرسة الإسلامية، التي تُعد الثقافة انعكاساً لتصور الإسلام للفرد والمجتمع في آن واحد.

وقد وضع العديد من المثقفين والمفكرين تعريفات لمصطلح الثقافة، فمن أهم تلك التعريفات كالآتي:

قال مالك بن نبي : " مجموعة من الصفات الخُلقية، والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته"[1].

وقال عبد الغفار عزيز : "مجموعة الأفكار والعادات التي يكتسبها أي مجتمع من المجتمعات، ويشترك فيها أفراده، وتنتقل من جيل إلى جيل"[2].

وقال مصطفى النشار : "مجموعة القيم والمبادئ التي يتمسك بها أفراد مجتمع ما، وتقود حركتهم وسلوكياتهم لتحقيق أهدافهم في الحياة [3] .

وقال أحمد شلبي : "الرقي في الأفكار النظرية، وذلك يشمل الرقي في القانون والسياسة والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة، والرقي كذلك في الأخلاق أو السلوك، وأمثال ذلك من الاتجاهات النظرية"[4] .

ج- تعريف الثقافة الإسلامية شرعاً :

لقد عرف العلماء المعاصرون الثقافة الإسلامية بالعديد من التعاريف أهمها كالآتي:

1 - مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، (ص 17) .
2 - معالم الثقافة، عبد الغفار عزيز، (ص15) .
3- صناعة الثقافة، مصطفى النشار، ص(26) .
4 - التاريخ والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، (3 / 213) .

وقال أحمد فؤاد محمود: "مجموعة من القيم الاجتماعية والصفات الخلقية المكتسبة، والمستمدة من التعاليم الإسلامية بقصد سعادة الفرد والمجتمع، وتقديم الحلول السليمة لكل مشكلاتهما، والوفاء لكل ما يجد في حياتهما من حاجات"[1].

وقال مصطفى مسلم : "مجموعة من المعارف والمعلومات النظرية والخبرات العملية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية التي يكتسبها الإنسان، ويجدد على ضوئها طريقة تفكيره، ومنهج سلوكه في الحياة "[2].

وقالت نادية شريف العمري: "معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة، بتفاعلاتها في الماضي والحاضر من دين ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة"[3].

وقال محمد عبدالسلام: "معرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية، ومقومات الدين الإسلامي بصورة مقنعة وموجهة"[4].

المطلب الثاني
خصائص الثقافة الإسلامية[5]

الخاصية الأولى: الربانية:

ويقصد بذلك أنَّ الثقافة الإسلامية تستمد معارفها من الوحي الإلهي - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - ، وما استنبطه العلماء المسلمون من

1 - أضواء على الثقافة الإسلامية، أحمد فؤاد محمود ، (ص 13) .
2 - الثقافة الإسلامية، مصطفى مسلم و فتحي محمد الزغبي، (ص18) .
3 - أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، (ص17) .
4 - دراسات في الثقافة الإسلامية، محمد عبدالسلام وآخرون، (ص 12) .
5- ينظر : معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، ص(87)، لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص(63)، الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، ص(77)، الثقافة الإسلامية مفهومها، عزمي طه، (ص122)، الإسلام وقضايا العصر، مأمون صالح الساكت، (ص100)، الوجيز في الثقافة الإسلامية، همام سعيد وآخرون، (ص87)، نظرات في الثقافة الإسلامية، عز الدين الخطيب التميمي، (ص24)، عمر الأشقر، (ص 43 – 53) .

هديهما ؛ فهي تدعو إلى توحيد الله - سبحانه وتعالى - ، والالتزام بمكارم الأخلاق مثل : إحقاق الحق، ورفع الظلم، وصلة الأرحام، و نشر الخير، وتصبغ الأمة بالصبغة الربانية.

لقد كان التزام المسلمين بهذه الصبغة خير دعاية لمبادئهم، مما جعل الشعوب يدخلون في دين الله - سبحانه وتعالى - أفواجاً، وفتحت لثقافتهم، وأخلاقهم القلوب قبل البلدان، وكون الثقافة الإسلامية ربانية والهية المصدر ؛ فقد ترتبت على ذلك آثاراً كثيرة على حياة الفرد والمجتمع من أهمها:

1- سلامة النفس من التمزق والصراع، فهي تبعد الإنسان عن التشتت والضياع والشك واتباع الهوى بوضوح الهدف واستقامة السبيل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾{الملك: ٢٢ }.

2- التحرر من عبودية الشهوات ؛ فغاية الفرد أسمى وأشرف من أنَّ يصبح عبداً لشهواته وملذاته ؛ فالفرد لا يمكن أنَّ يقترب من درجة الكرامة الإنسانية إلا بمقدار طاعته وعبادته لربه - سبحانه وتعالى - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ {التين : 4 - 6}.

3- العصمة من التناقض والاختلاف الذي تعانيه المناهج والأنظمة البشرية؛ فشرع الله - سبحانه وتعالى - لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه؛ لأنَّ يقوم على القرآن الكريم الذي جاء لإصلاح البشرية، وتحقيق السعادة لهم في الدنيا والآخرة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا

سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ { الأحقاف: ٣٠} .

4- 4- **الاحترام وسهولة الانقياد؛ فالمسلم يمتثل لأوامر الله - سبحانه وتعالى - ، واجتناب ونواهيه، وإنّ حصل منه الوقوع في الزلل ؛ فسرعان ما يعود إلى ربه - سبحانه وتعالى - ، ومن أمثلة ذلك على سرعة استجابة المسلمين لأوامر الله - سبحانه وتعالى - على الرغم مما ألفوه من عادات الجاهلية التي حرمها الإسلام مثل : قضية تحريم الخمر،** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ {**المائدة: ٩٠ – ٩١**}، **فكانت النتيجة امتثال واحترام الأمر الرباني، حتى قالوا انتهينا انتهينا.**

5- **البراءة من الجور والنقص والهوى ؛ فالثقافة الإسلامية الربانية قامت على العدل الإلهي، الذي انتصر على كل النوازع، والدوافع الدنيوية التي تدعو إلى ممارسة الظلم للغير، وهذا ما نجده في النداء الرباني لأهل الإيمان،** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ

فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ {النساء: ١٣٥} .

الخاصية الثانية: ملاءمتها للفطرة السليمة:

فالذي خلق الإنسان هو الذي أوحى إلى رسُوله محمد -ﷺ- بهذه الهدايات، وذلك لإصلاح شأن الإنسان، وتنظيم علاقته مع غيره، وبيان واجباته تجاه خالقه، فكانت منطلقات هذا الثقافة لإصلاح الفرد من داخله، بتلبية حاجاته الفطرية التي أودعها الله - سبحانه وتعالى- فيه، وتهذيب غرائزه وتنظيمها، والإجابة على تساؤلاته العقلية، وتحريره من الخوافات والأوهام، وإشباع أشواقه الروحية فأدخلت الطمأنينة إلى نفسه، وحققت له السعادة والرضا .

الخاصية الثالثة: الإيجابية:

تُعَّد الإيجابية إحدى السمات البارزة في الثقافة الإسلامية ؛ وذلك لأنَّ الإسلام يأمر أتباعه بالسعي في الأرض وإعمارها، وفي مجال الحياة الاجتماعية لا يتوقف عند النهيعن الإفساد في الأرض بالقتل والسرقة والزنا وشرب الخمر، وتخريب الحضارة والعمران، ولكنه يأمر بالإصلاح والتعمير، وتبدو جلياً الإيجابية من خلال أمر الإسلام بالمعروف والنهي عمن المنكر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ { آل عمران: ١١٠} ، **وكذلك ما نراه من خلال الأمر بالتعاون على البر والتقوى، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان،** ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ {**المائدة: ٢**}، **وإنَّ الثقافة الغربية تقول: لا تؤذ غيرك، لا تؤذ جارك، لا**

ترم الأذى في الطريق، ولكن الإسلام يقرر ذلك، ويضيف إليه أحسن إلى غيرك، وأحسن إلى جارك، وأمط الأذى عن الطريق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ ﴾ {**النحل: ٩٠**}، **وقال رسُول الله-** ﷺ- : ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**))[1] ، **وتتسم الثقافة الإسلامية بالإيجابية ؛ فهي تطلق الطاقات الكامنة في الإنسان، وتوجهها إلى البحث العلمي، والاستكشافات في الكون المحيط به، والتعرف على سنن الله – سبحانه وتعالى - فيه، وتسخيرها لمصلحة الإنسان ؛ فمن مهمات الإنسان في هذه الحياة الاستخلاف في الأرض وإعمارها ، فالكون كله ميدان لعمل الإنسان وتجاربه .**

الخاصية الرابعة: الشمول والكمال:

وتتمثل هذه الخاصية في صور متعددة في العقيدة والأخلاق والتشريع، فهي شاملة لجميع شؤون الحياة المختلفة منها السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية وغيرها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ {**النحل: ٨٩** }، **فهي ملائمة للفطرة الإنسان وخلقته وعقله وعاطفته وحاجات البدن والروح، وكل ذلك في توازن دقيق لا يطغى جانب على جانب،** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن

[1] - أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث أبو هريرة - ﷺ-، كتاب :الإيمان، باب : شعب الإيمان، (1 / 63)، رقم الحديث (35) .

كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ { القصص: ٧٧} ، وكذلك شمولها لكل بني البشر بلا استثناء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ {آل عمران: ١٥٨}.

أما خاصية الكمال فهي تعني أنَّ الثقافة الإسلامية تامة ووافية لا نقص فيها ولا عجز في حقائقها ومبادئها، ولا ضعف في توجيهاتها، فالإسلام دين شامل ونظام متكامل ؛ لأنَّه من عند الله - سبحانه وتعالى - لينظم حياة الناس جميعاً، فهو دين ودولة وعقيدة وعبادة وشريعة وقضاء وسياسة واقتصاد وعلم وعمل ودعوة وجهاد ...الخ، فالإسلام لا يترك جانباً من جوانب الحياة الفردية أو الجماعية إلا لينظمه ويقيمه، على أسسه وتوجيهاته، ويربي الفرد وينشى المجتمع ويوحد الأمة ويقيم الدولة، وينظم الحياة ويحدد التشريع ويضبط حياة المسلمين السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية، ولا يوجد الشمول في أي ثقافة كوجوده في الثقافة الإسلامية، لا يوجد ديناً أو تصوراً أو منهجاً يتعامل مع الحياة بهذا الشمول والكمال كما في الإسلام .

وبناء على ذلك نستنتج أنَّ الثقافة الإسلامية تستمد شمولها وكمالها من الرسالة الإسلامية الخالدة التي حكى عنها الله - سبحانه وتعالى -، فالهدايات الإسلامية شملت تعامل الإنسان مع نفسه، ومع من حوله – الجماد، النبات، والحيوان، والإنسان – فنجد القواعد العامة لذلك كله، وفصلت كيفية تعامل الإنسان مع الإنسان ؛ لأنَّ أصل الهدايات تنصب عليه، فهو أكرم المخلوقات على هذه إن السمة المميزة للالأرض عند الله - سبحانه وتعالى -، فلم يتركه ليكون حقل تجارب للاجتهادات البشرية ؛ فيشقى بالأنظمة والتشريعات الوضعية .

الخاصية الخامسة: الإنسانية:

إنَّ المعنى الانساني للثقافة الإسلامية واضح في كل جانب من جوانبها ؛ لأنَّها ثقافة منبثقة من القيم والمثل الإنسانية العليا في أوسع آفاقها وأسمى أهدافها، وإنَّ النزعة الإنسانية لا يمكن أنَّ تتحق إلا إذا كانت شخصية الفرد سوية ووحدة متماسكة ؛ إذ تبنى على أساس عقيدة واحدة ؛ فلا تصدر إلا عنها، ولا تستلهم في الشعور والسلوك سواها، ولا تستهدي في مواجهة الكون والحياة إلا وحيها، ولا ترجع في كل صغيرة وكبيرة إلا إلى توجيهها، قال سيد قطب - رحمه الله- : "والعقيدة الإسلامية هي المثال الواحد الذي عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل في هذا المجال، إنَّها العقيدة التي تتسع فتشمل كل نشاط الإنسان في كل حقول الحياة؛ فلا تقتصر مهمتها على حقل دون حقل، ولا على اتجاه دون اتجاه، إنَّها لا تدع لقيصر لقيصر، وما لله لله، فما لقيصر ؟، وقيصر لذاته في العقيدة الإسلامية كله لله - سبحانه وتعالى-، وما لقيصر حق للفرد من رعاياه، وإنَّها لا تتولى روح الفرد، وتهمل عقله وجسده، أو تتولى شعائره وتهمل شرائعه، أو تتولى ضميره، وتهمل سلوكه، وإنَّها لا تتولاه فرداً وتهمله جماعة، ولا تتولاه في حياته الشخصية، ولا تُهمل نظام حكمه، أو علاقاته دولته ؛ إنَّها الفكرة الكاملة الشاملة التي تمتد خيوطها في الحياة الإنسانية امتداد الشرايين في الكائن الحي، وامتداد الأعصاب"[1].

إنَّ هذه السمة المميزة لثقافتنا الإسلامية في وحدة العقيدة تطبع كل الأسس والنظم التي جاءت بها حضارتنا ؛ فهناك الوحدة في الرسالة، والوحدة في التشريع، والوحدة في الأهداف، والوحدة في الكيان الإنسانية العام، والوحدة في وسائل المعيشة وطراز التفكير، حتى إنَّ الباحثين في الفنون الإسلامية قد لحظوا وحدة الأسلوب، والذوق في أنواعها المختلفة ؛ فقطعة من العاج الأندلسي، وأخرى من النسيج المصري، والثالث خزف الشامي،

[1] - السلام العالمي والإسلام، سيد قطب، (ص 9) .

ورابعة من المعادن الإيرانية تبدو رغم تنوعها، وزخرفتها ذات أسلوب واحدة، وطابع واحد[1].

إنَّ التركيز على هذا المعنى الإنساني الخيِّر الذي قامت عليه شريعة الله - سبحانه وتعالى -؛ لتحقيق مثل : العدل، والرحمة، ومصالح البشر جميعاً، وسعادتهم الكاملة، كلما تعمقنا في فهم هذه الشريعة، وأحكامها التي تبني الحق وتدور معه، تقيم الوجود البشري على الحكم والمصالح العامة والعدل، والرحمة، وكل المثل الإنسانية العليا، قال ابن القيم - رحمه الله -: " إنَّ الشريعة مبناها وأساسها على الحكم، مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها ؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث ؛ فليست من الشريعة - وإنْ دخلت فيها بالتأويل -؛ فالشريعة عدل الله - سبحانه وتعالى - بين عباده، ورحمته بين خلقه ؛ فهي بالحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود ؛ فإنَّما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود ؛ فسببه إضاعتها؛ فالشريعة التي بعث الله - سبحانه وتعالى - بها رسُوله -ﷺ- هي عمود العالم، وقطب الفلاح، وللسعادة في الدنيا، وفي الآخرة"[2].

الخاصية السادسة: التوازن والوسطية:

إنَّ الموازنة بين الحقوق والواجبات، والموازنة بين الحقوق بعضها مع بعض، والواجبات بعضها مع بعض، والموازنة بين مطلب الروح والجسد أمر عسير ليس بالسهل ؛ فالإنسان يغرق بطبعه في الميل إلى أحد الجانبين، وهذا الميل يسبب فساداً للفرد والمجتمع؛ فقد جاء الإسلام بتشريعه محافظاً هذا التوازن ؛ فأمر الإنسان بعبادة الله - سبحانه وتعالى -، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ { الذاريات: ٥٦}، ولكنه

[1] - من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، (ص 31) .
[2] - إعلام الموقعين، ابن القيم، (3 / 11) .

أمره أنَّ يصرف شيئاً من اهتمامه لنفسه وأولاده ومجتمعه، وجعل ذلك نمطاً من التعبد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾{ القصص: ٧٧}، ونهاه عن تحريم الطيبات التي أباحها الله سبحانه وتعالى لعباده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ {الأعراف: ١٥٧}، ونهى رسُول الله -ﷺ- عن الانقطاع للتعبد، وترك الزواج، فعن أنس بن مالك - ﷺ- قال : جاء رهط إلى بيوت أزواج رسُول الله يسألون عن عبادة رسُول الله -ﷺ-، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها ؛ فقالوا : وأين نحن من رسُول الله ؟ قد غفر له تا تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم : أمَّا أنا فإنِّي أصلي الليل أبداً، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخرُ : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسُول الله- ﷺ - إليهم فقال : ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصُوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني))[1]، وكذلك وازن بين مطالب الروح والجسد، وكل ذلك وفق توازن عجيب يبرز خصائص الإنسان، ويقيم الحياة علة نحو فريد .

إنَّ التوازن الذي أقره الإسلام يراد به التعادل بين طرفين متقابلين، بحيث لا يطغى أحداهما على الآخر، وأن يعطي كل طرف منهما حقه بالقسط بلا شطط ولا غلو ولا تقصير، فالثقافة الإسلامية تستمد توازنها واعتدالها ووسطيتها من عقيدتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ

[1] - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : النكاح، باب : الترغيب في النكاح، (7 / 2)، رقم الحديث (5063) .

عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ {البقرة: ١٤٣ } ؛ فالله- سبحانه وتعالى- هو اللطيف الخبير الذي يعلم ما يصلح ويناسب عباده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ { الملك: ١٤} .

وتتجلى هذه الخاصية في مجالات الحياة الإنسانية المتعددة، نذكر بعضاً منها :

1- التوازن في التوسط بين جانبي الإنسان ((الجسد والروح)) فلكل منهما متطلباته، فأباح الإسلام الطيبات باعتبارها غذاء الجسد ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ {الأعراف: ٣١ }، وأمر الإسلام الإنسان بالعبادات والطاعات، وذلك لأنَّها غذاء للروح ؛ فيحتاج إليها الإنسان يومياً.

2- التوازن والتوسط بين العبادات والعمل، فيكون للعبادات وقتها وللعمل وقته، فلا يطغى أحداهما على الآخر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ {الجمعة: ٩ - ١٠}، وقد رحذر رسُول الله- ﷺ- من الانقطاع للعبادة وترك العمل في أحاديث كثيرة .

3- **التوازن والتوسط بين الحياة وبين الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ {**القصص: ٧٧**} .

4- **التوازن والتوسط بين الخوف والرجاء ؛ فلا يبقى المسلم على خوف دائم من العذاب ؛ فيصيبه القنوط من رحمة الله - سبحانه وتعالى -، ولا يبقى كذلك في رجاء مستمر فيصيبه الغرور، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴾ { **الفرقان: ١٩**}، **وفي المقابل ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ {**الزمر: ٥٣**}.

5- **التوازن والتوسط في الإنفاق وعدم الإسراف، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورٗا ﴾ {**الإسراء: ٢٩**} .

وكذلك تتصف الثقافة الإسلامية بالاعتدال والتوازن في بناء الشخصية الإسلامية ؛ فتراعي متطلبات الروح والمادة في الإنسان، والاعتدال والتوازن في إقامة المجتمع الإسلامي، فتحافظ على مصلحة الفرد والجماعة، ولا تفرط في جانب على لحساب الجانب الآخر، كما تتصف الثقافة

الإسلامية على صعيد الحياة كلها بالتوازن بين متطلبات الحياة الدنيا، ومقومات السعادة في الدار الآخرة ، قال محمد فاروق النبهان : " في الثقافة الإسلامية نجد أنَّ الدعوة إلى الإيمان مقرونة بالدعوة إلى العلم، والدعوة إلى العبادة مقرونة إلى العمل، والدعوة إلى الفكر والتأمل مقرونة بالدعوة إلى تنمية الروح والوجدان، والدعوة إلى الغاية مقرونة بالنظر إلى الوسيلة، وهكذا نجد أنَّ التوازن الحقيقي بجميع جوانب هذه الثقافة " [1] .

الخاصية السابعة: المثالية الواقعية:

تتمثل خاصية الواقعية وجودها في كافة جوانبها العقدية والتشريعية والأخلاقية؛ ففي مجال العقيدة يتم التعامل مع حقائق ثابتة، وليس أفكاراً متخيلة في الأذهان تقوم على الظن والوهم ؛ بل تتعامل مع حقائق تابثة الوجود؛ فالله - سبحانه وتعالى - واجب الوجود يدل خلقه على وجوده والإيمان به يكون عن طريق الإدراك والحس والمشاهدة، لكل ما في الكون من ظواهر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ {الذاريات: ٢٠ - ٢١}، وكذلك نجد الإسلام يتعامل مع الإنسان الذي خلقه الله - سبحانه وتعالى - بواقعية تناسب احتياجات روحه وجسده، من غير إفراط أو تفريط، ولهذا نجد الواقعية حاضرة في التشريع الإسلامي، فقد راعى الإسلام ظروف الناس، وحياتهم واحتياجاتهم المعيشية، ورفع عنهم المشقة والحرج ؛ بل المشقة تجلب التيسير كما راعى فطرتهم وطاقاتهم، فلم يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ؛ لأنَّ شرط التكليف القدرة على فعل المكلف به، لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا

1 - مبادئ الثقافة الإسلامية، محمد فاروق النبهان، (ص15) .

حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ {البقرة: ٢٨٦} .

أما واقعية الأخلاق فقد حث الإسلام على الأخلاق الحميدة، وفيه من المبادئ الثابتة، فهي أخلاق ثابتة في جميع الأوقات والأماكن، وفي نفس الوقت راعت الظروف الاستثنائية فأباحث له الكذب بقصد الإصلاح بين الناس، وفي الأرض أيضاً للخدع العدو .

وبناء على ما سبق نستنتج أنَّ الواقعية ترفع من شأن الإنسان، وتسمو بفكره وروحه، وتكسبه الشفافية في المشاعر، بحيث يكون الإنسان متميزاً بعقيدته وأخلاقه وسلوكه في تعامله مع الناس، ولا يعرف المسلم شعارات التصدير وأخرى للتطبيق ؛ بل حياته وسلوكه تطبيق عملي لحقائق الإسلام، وأنَّ تطبيق سلف هذه الأمة ما دعوا الناس إليه على أنفسهم أولاً، جعل الناس ينبهرون بأخلاقهم وأفعالهم؛ فدخلوا في دين الله طواعية رغبة لا رهبة، فأمتدت دولتهم من طنجة إلى جاكرتا .

الخاصية الثامنة: عالمية الآفاق:

إنَّ الثقافة الإسلامية ليست ثقافة العرب، أو الفرس، أو البربر، وليست ثقافة الرجل الأبيض، ولا الأسود؛ إنَّها ثقافة البشر عامة على اختلاف أجناسهم، وألوانهم، ولم توضع لجنس، ولا لون، ولا بيئة معينة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ {**الحجرات: ١٣**}، **وإنَّ الإسلام يقرر أنَّ انقسام البشر إلى شعوب وقبائل ؛ إنَّما للتعارف لا للتناحر، والتقاتل، والتفاضل، أمَّا مقياس التفاضل في الإسلام فهو التقوى - الإيمان والعمل الصالح - ، وفي ظل**

هذا المقياس الذي وضع للناس كافة كان يرتقي الناس جميعاً، ويتنافسون في ميدان العمل الصالح، لا فرق بين أبي بكر الصديق - ﷺ- العربي، وبين سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وتدخل الشعوب في الإسلام؛ فلا تشعر بغضاضة في نفوسها، وذلك لأنَّ الناس في ظل الإسلام إخوة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ { الحجرات: ١٠}، وقد جاءت تعاليم الإسلام للإنسان بغض النظر عن جنسه، ولونه، وموطنه؛ فعناصر الثقافة الإسلامية وهي : التربوية، والنفسية، والروحية، والأخلاقية ؛ فقد جاءت أحكامها وفق الطبيعة الذاتية للإنسان مجردة عن إطار الزمان والمكان، وذلك لأنَّ الإنسان ثابت لا يتغير، ولا يتبدل في روحه وعواطفه، وأشواقه، وضروراته، وغرائزه، والجانب المتغير في الإنسان هو الجانب العملي، أو الجانب الذي يتعامل فيه الإنسان مع الكون ؛ إذ أنَّ الإسلام يسع البشرية كلها؛ لأنَّه من عند الله - سبحانه وتعالى - منزل إلى الناس كلهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ { سبأ: ٢٨ }، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ { الفرقان: ١} ، وأمَّا الثقافات البشرية فكل أمَّة تستمد ثقافتها من مألوفها، وذوقها، وموروثها الأدبي، وظروف الجغرافية، وضروراتها الإقليمية، وحاجاتها الاجتماعية، أمَّا غاية الإسلام إيجاد الإنسان الصالح، أمَّا المبادئ الأرضية ؛ فغايتها تكوين المواطن الصالح ، وإنَّ الإسلام يجعل كل إنسان هدفاً لمنهجه، بينما المبادئ الأرضية تتجه إلى فئة معينة من الناس دون سواهم ، وتتميز هذه الخاصية بأنَّها تلائم فطرة الفرد التي فطر عليها، وما فيه من غرائز واستعداداته، فهي شاملة لجوانبه المتعددة داعية إلى وحدة الإنسانية التي تذوب فيها جميع الفوارق القومية والعرقية، وتتلاشى فيها الفواصل فلا تفاضل إلا بالهدى

والتقوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ {الحجرات: ١٣}، ولهذا ذم رسُول الله-ﷺ- التفاخر بالأحساب والأنساب والعصبية، فقد جاء في حديث جندب بن عبدالله البجلي -رضي الله عنه-، قال رسُول الله -ﷺ- ((من قتل تحت راية عُمِّية يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية)) [1]، وأكبر دليل واقعي على عالميتها أنَّ الذين أسهموا في نشرها والعمل بها على اختلاف بلدانهم وأقطارهم ولغاتهم، ولهذا فالإسلام دين عالمي للناس جميعاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ {سبأ: ٢٨}، ومن معاني العالمية أيضاً أنَّها تسمو بالوجود الإنساني إلى درجة من الرقي والكمال ؛ فجميع توجيهات الثقافة الإسلامية من أوامر لتسمو بالإنسان نحو الإنسانية، مثل: الزكاة، الصدقات، وإفشاء السلام وغير ذلك، وكذلك اجتناب النواهي التي تحط من إنسانية الإنسان، وتبعده عن السلوكيات السيئة، مثل : السرقة، والزنا، وأكل الربا، ومال اليتيم، والرشوة وغير ذلك .

الخاصية التاسعة: التطور والثبات (الاستمرارية):

إنَّ الثقافة الإسلامية تمتاز بأنَّها ثابتة ومتغيرة في نفس الوقت ، فهناك أصول أساسية وأحكام ربانية لا تقبل التغير، فهي أساس الشريعة تستمد منها الأمة ذاتيتها، وتختلف بها عن غيرها من الأمم كمسائل العقيدة والأخلاق والحقائق العلمية الثابتة، وهناك متغيرات مستمدة من هذه الثوابت كالمسائل الفرعية تتغير من جيل إلى جيل آخر، ومن زمان إلى آخر.

[1] - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب : الإمارة، باب : الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (1478/3)، رقم الحديث (1850) .

ومن فوائد الثبات في حياة الأمة الإسلامية:

1- **أنَّ الثبات يحافظ على ذاتية الأمة الإسلامية، ويحفظ لها هويتها وشخصيتها دون ذوبانها في ثقافات الأمم الأخرى.**

2- **أنَّ الإنسان يسير وفق منهج ثابت لا يتغير، يحكم الجميع لا تغيره المصلحة، أو هوى فالصدق فضيلة على مر العصور، والكذب رذيلة على مر الأزمان.**

3- **تحقيق الطمأنينة في نفس الوقت، فلا يحدث تضارب أو تصادم، كما في الأنظمة الأخرى.**

4- **أنَّ ثبات الأفكار يطيل في عمر الأمم والشعوب والدول، فإنَّ الثقافة الإسلامية هي الثابتة التي تؤمن الأفكار وفكرتها في الوجود ؛ فإنَّ بقاء الفكرة وثباتها يمر من عمرها وعمر الأمم.**

وأما فوائد التطور في حياة الأمم :

1- **التطور يفيد الأمة على الاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى.**

2- **مراعاة الاكتشافات الحديثة، والأخذ بها .**

3- **التطور يبث في الأمم روح التقدم والتطور والمنافسة، للوصول إلى أعلى الدرجات، ولهذا أخذ الإسلام بالثبات والتطور معا، ولم يفصل بينهما كما فعلت الثقافات الأخرى.**

لقد تمثلت عظمة الإسلام ومبادئه الخالدة في خاصية الثبات والتطور، مما جعلها صالحة لكل زمان ومكان، فالثبات على الأهداف والغايات أضفى القدسية والاحترام على مبادئه، وأدخل الطمأنينة على نفس معتنقيه، والمرونة في الوسائل والأساليب أضفت الحيوية واستيعاب المستجدات في الشؤون الدنيوية، والعلوم التجريبية، فمثلاً الشورى والحكم بالعدل من الثوابت، أما الوسيلة فمتروكة للاجتهاد، وهذان التطور والثبات ملائمان لسنن الله - سبحانه وتعالى - في الكون، وفي الفطرة الإنسانية، فإنَّ فيهما الثبات الدائم والمتغير المتحول، وبهذه الخاصية تستطيع الأمة الإسلامية أن تستمر وترتقي في مدارج التقدم الحضاري مع المحافظة على قيمها وعقائدها وأخلاقها.

الخاصية العاشرة: الحركة حول محور واحد[1]:

إنَّ المذاهب البشرية المختلفة تنازع النفس البشرية ؛ فالمنهج الذي يسير عليه البشر البعيدون عن الوحي السماوي خليط من الأفكار، والمبادئ، والعقائد ، والتصورات، وهذه قد تتضارب فيما بينها، وتلك طبيعة المبادئ الأرضية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ {النساء: ٨٢}؛ فالمجتمع الواحد البعيد عن هدي السماء ومثال على ذلك المجتمع الغربي في وقتنا الحاضر توجد فيه المثل التي تطالب بالأخذ بالفضيلة، وهي بقايا الدين المسيحي المحرف، ولكن المذهب المادي النافع القائم على الكفر بالله - سبحانه وتعالى - واليوم الآخر يناديه ؛ كي يغرق في الشهوات، ويعيش لدنياه فحسب، ودين الإنسان في الغرب يناديه، كي يؤمن بالمسيح إلهاً ورباً ؛ فهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، تعالى الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، وعقله يرفض هذا المنطق، وهذا الاختلاف والتضارب في المناهج يمزق النفس الإنسانية، ويجلب لها الصراع الذي ينتج الهموم والحيرة والقلق، أمَّا الإسلام فأنَّ حياة المسلم تدور حول محور واحد ثابت ؛ فهو يؤمن بالله سبحانه وتعالى رباً واحداً لا شريك له ؛ فلا تعدد في الأرباب، ولا تعدد في الآلهة، ومن الله سبحانه وتعالى يستمد تصوره، ومعرفته لربه- سبحانه وتعالى - ومعرفته للكون من حوله، ولما وراء الكون المشهود، كما يستمد منه القيم، والأحكام التي تقوَّم بها الأشياء ؛ فلا تضارب ولا تعارض، ولا تصادم ؛ لأنَّه يأخذ كل ذلك من الله سبحانه وتعالى، ودين الله - سبحانه وتعالى - وحدة متكاملة تتوافق ولا تتعارض، وبذلك تتحقق طمأنينة القلب، وانشراح النفس، وهدوء البال ؛ فلا عقد نفسية، ولا صراع داخلي، ولا قلق، ولا هموم .

[1] - نحو الثقافة الإسلامية، عمر الأشقر، (ص 52 - 53) .

الخاصية الحادية عشر : أخلاقية في دعوتها [1]:

إنَّ الإسلام منهج هداية ونور، يهدف إلى تصحيح عقيدة البشر، وتقويم أخلاقهم، وإصلاح الإعوجاج في سلوكهم، وتنظيم حياتهم، ورفع الشر والفساد عنهم، وقطع دابر الفرقة والتناحر في صفوفهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ {**المائدة: ١٥ - ١٦**} ، **ودعوة الإسلام الشاملة الخالدة روحها روح أخلاقية عالية تنبثق من جوهر العقيدة، وتشيع في كل عبادة، وتُرى في كل حكم، وتظهر في كل توجيه، وتُلمس في كل تنظيم، ولهذا كانت الثقافة الإسلامية دستور الأخلاق، ومنهاج التربية النفسية للإنسان الذي كرمه الله - سبحانه وتعالى - بتكليف حمل هذه الرسالة، وأداء هذه الأمانة من حضيض الفساد، وتجفيف بؤر التمزق والانحراف إلى أوجه الصلاح، والتماسك، والاستقامة، فقد حدد رسُول الله- ﷺ- مهمة بعثته فقال : ((إنَّما بعث لأتمم صالح الأخلاق))** [2]**، ولما سُئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلقه فقالت : ((كان خلقه**

[1] - أضواء على الثقافة الإسلامية، أحمد فؤاد محمود، (ص 56 - 58) .

[2] - أخرجه أحمد في مسنده، من حديث أبو هريرة - ﷺ-، كتاب : مسند المكثرين من الصحابة، باب : مسند أبو هريرة - ﷺ -، (14 / 512)، رقم الحديث (8952)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، (1 / 464)، برقم (2348) .

القرآن»[1]، ومن خلال النظر إلى الأحاديث النبوية الشريفة الصادرة عن رسُول الله - ﷺ- لا بد من الاقتداء برسُول الله - ﷺ- ويقتدوا به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ {الأحزاب: ٢١}، **وإنَّ الحكمة من التشريعات الإسلامية والفرائض التي فرضها الله - سبحانه وتعالى - على الناس يجد أنَّها تهدف إلى تهذيب الأخلاق، تدريب الناس على السلوك القويم، كما أنَّ استحضار سيرة رسُول الله -ﷺ-، وسيرة الصفوة من الصحابة - رضي الله عنهم - تظهر القيمة الأخلاقية في كل حياتهم وتصرفاتهم مثل : الصبر، التضحية، والبذل، والفداء، والإيثار، والتعاون، والبر، والإحسان، والوفاء، والأمانة، والعدل، والرحمة، وإنَّ الشريعة الإسلامية تدعو إلى البعد عن الصفات السيئة مثل: الكذب، والغش، والغدر، والخدع، والخيانة، والنفاق، والسخرية، والظلم، والاعتداء، والفحشاء، والمنكر، ووردت العديد من الآيات القرآنية التي تحذر من التخلق بهذه الصفات السيئة منها، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ { **النحل: ٩٠ – ٩١** }،

[1] - أخرجه البخاري، من حديث يزيد بن بابنوس - ﷺ-، كتاب : الأدب المفرد، باب : من دعا الله - سبحانه وتعالى - أنَّ يحسن خُلقه، (1 / 115)، رقم الحديث (308)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ، (1 / 130)، برقم (234) .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ { **الحجرات: ١١ - ١٢**}، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ { **فصلت: ٣٣ - ٣٤**} .

المبحث الثاني

الغزو الفكري دوافعه وميادينه

المطلب الأول

تعريف الغزو الفكري

أ- معنى الغزو لغة:

قال ابن منظور: "غزا: غزا الشيء غزوا: أراده وطلبه. وغزوت فلانا أغزوه غزوا. والغزوة: ما غزي وطلب"[1].

قال الفيومي: "غزيته إذا بعثته يغزو، وإنما يكون غزو العدو في بلاده"[1].

1 - لسان العرب، ابن منظور، (مادة : غزى)، (15 / 132) .

قال زين الدين الرازي: "(غزوت) العدو من باب عدا والاسم (الغزاة)"[2].

قال ابن سيده "الغزو: السير إلى قتال العدو و انتهابه، غزاهم غزواً، وغزواناً"[3].

وقال نشوان الحميري: "(الغَزاة) : الاسم من الغزو" [4].

وقال الزمخشري: "ومرّ غزيّ بني فلان وعديّهم وهم الذين يعدون على أرجلهم، ولم تزل بنو فلان حجيجاً غزياً أي حجّاجاً غزاة، وتقول: رأيت غزاً غزّى، وقد أغزى الأمير الجيش. وأغزت فلانة وأغابت: غزا زوجها وغاب، وامرأة مغزية ومغيبة " [5].

ب – تعريف الغزو اصطلاحا:

لقد عرف علماء الفكر المعاصرين كلمة الغزو بمعناه الاصطلاحي بجملة من التعاريف أهمها كالآتي:

قال أحمد عبد الكريم السايح: "إغارة الأعداء على أمة من الأمم بأسلحة معينة، وأساليب مختلفة لتدمير قواها الداخلية وعزائمها ومقوماتها، و انتهاب كل ما تمتلك "[6].

وقال عبد الستار سعيد: "تعبير دقيق بارع يصور خطورة الآثار الفكرية قد يستهين بها كثير من الناس ؛ لأنَّها تمضي بينهم في صمت ونعومة، مع أنها حرب ضروس لا تضع أوزارها حتى تترك ضحاياها بين أسير وقتيل أو مسيخ، كحرب السلاح أو هي أشد فتكاً " [7].

1 - المصباح المنير، الفيومي، (مادة : غزى)، (2 / 447) .
2 - مختار الصحاح، زين الدين الرازي، (مادة : غزى)، (ص 226) .
3 - المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (مادة : غزى)، (6 / 38) .
4 - شمس العلوم، نشوان الحميري، (مادة : غزى)، (8 / 4943) .
5 - أساس البلاغة، الزمخشري، (مادة : غزى)، (1 / 701) .
6- مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، (ص 9 – 10) .
7- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، عبد الستار سعيد، (ص 6) .

وقال محمد قطب - رحمه الله - : "الوسائل غير العسكرية التي اتخذها العدو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط وسلوك"[1].

المطلب الثاني
دوافع الغزو الفكري

هناك دوافع عدة حملت الغرب على اللجوء للغزو الفكري، فمن أهم الدوافع كالآتي :

1- عداوة الغرب للإسلام:

لم يعد خافياً على أحد مدى العداوة المستحكمة التي يكنها الغرب للإسلام، وقد حاول الغربيون أنَّ يوهموا المسلمين بأنَّ العداوة أو الصراع بينهما عداء سياسي لا ديني حتى لا يلتف المسلمين حول دينهم، ويتحدوا في وجههم، وقد خدع البعض من المسلمين فاعتقدوا أنَّ هذا العداء يرجع إلى أسباب سياسية واقتصادية، ولكن جوهر الصراع ومحوره إنما هو الدين، يقول أحمد أمين : " إنَّ العالم النصراني على اختلاف أممه وشعوبه هو عدو قاس مناهض للشرق على العموم، وللإسلام على الخصوص، فجميع الدول النصرانية متحدة معاً في دك الممالك الإسلامية مما استطعت إلى ذلك سبيلاً، والروح الصليبية كامنة في صدور النصارى كمون النار في الرماد، وروح التعصب لم تنفك في قلوبهم حتى اليوم كما كانت في قلب بطرس الناسك من قبل، فالنصرانية لم يزل التعصب مستقراً في عناصرها، متغلغلاً في أحشائها، متمشياً في كل عرق من عروقها، وجميع هذه الشعوب النصرانية مجتمعة متفقة على عداء الإسلام، وروح هذا العداء متمثلة في جهد هذه الشعوب جهداً خفياً مستتراً لسحق الإسلام، ومما يقوم شاهداً على أن العداء ديني

1 - واقعنا المعاصر، محمد قطب، (182) .

ما جاء في النشيد الإيطالي من قوله : أماه صلي ولا تبكي ... ؛ بل أضحكي ... ألا نعلمين أن إيطاليا تدعوني ؟ ... أنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً ومسروراً ... لأبذل دمي في سحق الأمة اللعينة، ولأحارب الديانة الإسلامية ... سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ... إنَّ سألك أحد عن عدم حدادك علي ... فأجيبه: إنَّه مات في محاربة الإسلام"[1].

ومما يؤكد على أنَّ العداء ديني أيضاً ما شاهدناه ولا نزال نشاهده من أحداث الصراع بين الغرب والشرق، حيث نجد روح القسوة والتشفي من المسلمين التي بدت واضحة في انتصارات الغربيين، فقد نكلوا بهم وشردوا كثيراً منهم، وحاربوهم في أعمالهم وأرزاقهم في كل ميدان، بينما لم يفعلوا ذلك بمن يعيش معهم في وطن واحد، ويتضح هذا بصورة جلية فيما فعله الانجليز في الهند مع جماعة الهندوس والمسلمين فيما بينهم كانوا يعاملون الجماعة الأولى بشيء من اللين إذ بهم يسيئون إلى المسلمين ويقسون في معاملتهم ومحاربتهم في شتى المجالات [2].

2- عداوة الغرب للإسلام عميقة الجذور[3]:

إنَّ موقف الأوروبيين من الإسلام ليس موقف كرة في غير مبالاة فحسب كما هو الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات ؛ بل هو كُره عميق الجذور، يكون في الأكثر على صدود من التعصب الشديد، وهذا الكُره ليس عقلياً فحسب، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة، عاطفية قوية، ويذكر أنَّه قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوسية، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن، ومبني على التفكير، إلا أنَّها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب، حتى إنَّ أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر،

1 - يوم الإسلام، أحمد أمين، (ص 109 – 111) .
2 - دراسات الفكر الإسلامي، عبد المقصود عبد الغني، (ص 95 – 96) .
3 - الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، (ص 52 – 53) .

كما أنَّ الإسلام لا يمكن أنَّ يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي ؛ بل على أنَّه متهم يقف أمام قضائه .

3- الحروب الصليبية:

إنَّ التحامل من المسشرقون على الإسلام غريزة موروثة، وخاصية طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوروبيون، حيث أحدثت هذه الحروب أثراً من أعمق الآثار وأبقاها في نفسية الشعب الأوروبي ؛ بل أنَّ الصليبيين قطعوا الصلات التي كادت أنَّ تقوم بين الإسلام والغرب من قبل بين هارون الرشيد وبين الإمبراطور شارلمان، ولم يكن ذلك لأنَّهم رموا الحرب، فإن حروباً كثيرة كانت قد نشبت بين الشعوب، ثم نشبت فيما بعد على مدى التاريخ الإنساني، وكم من عداوة انقلبت بعد ذلك إلى صداقة، إلا أنَّ الشر الذي بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح، ولكنه كان قبل كل شيء وفي مقدمة كل شيء شراً ثقافياً، ولقد نشأ تسميم العقل الأوروبي عما شوهه قادة الأوروبين من تعاليم الإسلام، ومثله العليا أمام الجموع الهائلة في الغرب [1] .

إنَّ هذا التشويه الخطير من أخطر جنايات الكنيسة حيث قامت بدعايتها الكاذبة ضد الإسلام طوال الحروب الصليبية وبعدها، وتصويرها له بصورة الدين الوثني المتخلف المنحرف، مما عبأ النفس الأوروبية عامة بعقدة الكراهية العارمة، والمقت البالغ للإسلام والمسلمين، يتوارثها كأنَّها من المسلمات البديهية بلا فهم ولا تمييز، ولا تزال هذه الروح جارية في أغوار النفس الأوروبية إلى يومنا هذا، وإنَّ العداء عداءاً دينياً في المقام الأول ؛ إذ حرص المستعمر منذ أول الأمر على القضاء على الإسلام خاصة، وأنَّه يعتبر الأساس الأول في القومية الإسلامية، فكان لابد من إزاحته من طريقهم فكان اللجوء إلى الغزو الفكري حتى يضمنوا سيطرته على المسلمين، وتبعيتهم له في جميع الميادين [2] .

1 - التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى الخالدي و عمر فروخ، (ص 36) .
2 - الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، محمد أسد، (ص 26 – 27) .

4- فشل الغرب عسكرياً، وتخوفهم من الإسلام :

إنَّ من أهم الدوافع التي حملت الغرب على اللجوء للغزو الفكري، هو محاولات الصليبيين التي قاموا بها والتي أدت إلى فشل وإخفاق في حملاتهم الصليبية، حيث انتهت الحروب التي خاضوها في القرنين الخامس والسادس الهجريين بالهزيمة الساحقة، وحينما أسر لويس التاسع - ملك فرنسا - في المنصورة أخذ يتفكر فيما حل به وقومه، وبعد أنَّ فك أسره عاد يقول لقومه إذا أردتم أنَّ تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم، فهي مكمن القوة فيهم، ووعى قومه نصيحته، فلما عادوا لغزو العالم الإسلامي مرة أخرى لم يكتفوا بالسلاح وحده، ولكنهم استطحبوا معهم تلك الوسيلة الخبيثة التي نطلق عليها اسم الغزو الفكري [1] .

لقد تحدث المؤرخ النصراني (جوانفيل) – الذي رافق لويس التاسع - ؛ أنَّ الخلوة للويس في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ؛ ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أنَّ يتبعوها إزاء المسلمين، وقد انتهى تفكيره إلى أنَّ النعرة الدينية في الغرب لم تعد كافية لإثارة الحروب ضد الإسلام، والتغلب على المسلمين، وإنَّه لم يعد في وسع الكنيسة وفرنسا وحدها مواجهة الإسلام، وإنَّ هذا العبء لا بد أنَّ تقوم به أوروبا كلها، وتضيق الخناق عليه، وقام بوضع خيوط المؤامرة الجديدة والتي تقوم على الأسس التالية:

- **تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات الغرض .**
- **تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام، ووقف انتشاره وضرورة دراسة أحوال المسلمين عن طريق المستشرقين .**
- **العمل على استخدام أفراد مسيح الشرق لتنفيذ سياسة الغرب .**

1- واقعنا المعاصر، محمد قطب، (182 - 183) .

- العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز لقواته الحربية، ولدعوته السياسية والدينية، وقد اقترح لويس لهذه القاعدة الأماكن الساحلية في لبنان وفلسطين .

لقد سار الأوربيون بالفعل في طريق تنفيذ وصية لويس حيث أعدوا جيوشاً من المستشرقين و المنصرين الذين قاموا بحركة تشويه للإسلام بهدف تشكيك المسلمين فيه، وذلك انطلاقاً من شعورهم تجاهه بالمرارة والكُره العميق، كما قاموا بإنشاء قاعدة نصرانية لهم في لبنان، ويهودية في فلسطين، بالإضافة إلى ما قاموا به من تمزيق وحدة العالم الإسلامي عن طريق إشاعة النعرات العصبية في العالم الإسلامي، ويذكر المستشرق (هانوتو) - وهو مستشار سياسي لوزارة المستعمرات الفرنسية في أواخر القرن التاسع عشر - أنَّ أهداف الحروب الصليبية ترتكز قديماً في استرداد بيت المقدس من المسلمين، وينبغي أنَّ ترتكز حديثاً في نقل المسلمين إلى الحضارة الأوروبية، ويرى أنَّ أفضل طريق لتثبيت ولاية المستعمر الأوروبي على البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامية، وتمجيد القيم الغربية والنظام السياسي والسلوك الفردي للشعوب الأوروبية [1] .

لقد أخذ المستعمرون يوهمون المسلمين ويحاولون إقناعهم بأنَّ الإسلام هو سبب تخلفهم، وأنَّ عليهم التخلص منه، والابتعاد عنه إذا أرادوا اللحاق بركب التقدم والمدنية، فقد زعم - كرومر – مثلاً أنَّ الإسلامي مناقض للحضارة، ولا يصح لغير البيئة البدوية التي نشأ فيها، وأنَّ المسلم لا يرجى منه أنَّ يساير الحضارة الحديثة إلا إذا ترك دينه، وخرج بذلك من رقعة التعصب والجمود، وهو بهذا الافتراء على الإسلام أراد أنَّ يلقي على الدين الإسلامي كل اللوم في مقاومة الاحتلال، وكأنه يعتذر عن إخفاقه في ترويض الحركة المناهضة للاستعمار، ولا شيء غير التعصب الأعمى يسول لكرومر أن يرى هذا الرأي ويفتري ذلك الافتراء، فكان من اليسير عليه أن يعلم المسلمين لا يضيقون ذرعاً بالحضارة الحديثة، وهم في القرن العشرين، لولا أنه مصاب بعسرين يصدانه عن ذلك النظر اليسير وهما : عسر التعصب، وعسر الاستعمار [2] .

1- احذوا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، سعد الدين صالح، (ص 40 – 42) .
2 - الإسلام والاستعمار، عباس العقاد، (8 / 243) .

إنَّ المستعمرين كانوا يدركون قيمة الإسلام، ويعلمون أنَّه قادر على صنع الحضارة والتقدم مثلما صنع من قبل، وكان للمسلمين دور كبير في تأسيس الحضارة الغربية، لكنهم كانوا موقنين بأنَّ الإسلام يقف حجر عثرة في طريق خططهم الاستعمارية حيث يذكر (براون) أنَّ الخطر الحقيقي علينا كامن في نظام الإسلامي وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته، إنَّه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي [1] .

إنَّ الخوف من الإسلام يعكس مدى ما يشعر به الغربيون من خوف تجاه الإسلام، ويصور مدى ما قاموا به من دراسات للإسلام، واهتمامات بحضارته حتى يفهموا مصادر قوته، ويجددوا أسباب تماسكه، ومعرفة أسباب الخطر الكامنة فيه، فهم حينما يقرؤون التاريخ الإسلامي يتوقفون أمام الفتوحات الإسلامية مبهورين ويتساءلون : كيف تمكن المسلمون من مواجهة الدولتين الأعظم في ذلك العصر الفرس والروم - ؟، وقاموا بفتح بلادهم والممالك التي كانت خاضعة لهم، وكيف امتدت هذه الفتوحات إلى شمال أفريقيا ومنها إلى الأندلس في غرب أوروبا ثم إلى بلاد السند والهند، وما وراء النهر حتى حدود الصين، وكيف استطلت برايته حضارات وثقافات، وأقبلت على الدخول فيه أمم وشعوب على اختلاف الأجناس والألوان، والأعجب من ذلك أنَّ كل هذا قد تم في فترة وجيزة، وفي سرعة مذهلة تقل عن قرن من الزمان، وهو ما لم يحدث من قبل تاريخ الأمم والحضارات حتى قال أحدهم : إنَّ العرب فتحوا في ثمانين سنة أكثر مما فتحه الرومان في ثمانمائة سنة، وقال آخر : إنَّ العرب فتحوا نصف الدنيا في نصف قرن، وقال ثالث : لقد تمكن الإسلام من أنَّ ينتصر في جيل واحد في مائة معركة، وأنَّ ينشئ دولة عظيمة في قرن واحد ، وأنَّ تبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم ، كذلك فإنَّ الغربيين لا ينسون أنَّهم هُزموا في الحروب الصليبية، ثم حاولوا إخراج المسلمين من الأندلس، لكنهم قبل أنَّ يخرجوا منها - بعد أنَّ

1 - التبشير والاستعمار، مصطفى الخالدي وعمر الفروخ، (ص 184) .

مكثوا فيها ثمانية قرون – كان العثمانيون قد فتحوا القسطنطينية باعتبارها حصن المسيحية الشمالية المنيع الشامخ الذي استعصى من قبل على المسلمين الأوائل، واستولوا عليها بقيادة محمد الفاتح، والذي حول كنيسة آياصوفيا إلى مسجد جامع صلى فيه المسلمون، ثم قاموا بنشر الإسلام في بلاد البلقان وشرق أوروبا، وهددوا فيينا عاصمة النمسا أكثر من مرة، مثلما كان المسلمون في الأندلس قريبين من باريس التي كانت في سبات عميق وظلام دامس، في الوقت الذي كانت فيه قرطبة وطليطلة تضاءان بالمصابيح ليلاً، ومعنى هذا أنَّه في الوقت الذي بدأ فيه انحسار الإسلام من غرب أوروبا بدأ المد الإسلامي في شرق أوروبا، وكذلك فإنَّ الغربيين يقفون أمام ما يسمى بالمعجزة التاريخية التي لم تتكرر، حيث انفرد الإسلام بها، وهي أنَّ التتار بعد أنَّ هزموا المسلمين في بادئ الأمر، ودمروا بغداد تحولوا إلى الإسلام ودخلوا فيه، فهذه أول مرة يدخل المنتصر دين المنهزم، ولا يعني ذلك إلا أنَّ الإسلام هو سبب قوة المسلمين، وسر عزتهم، وانتصارتهم مثلما قال عمر بن الخطاب - ﷺ - : ((لقد أعزنا الله بالإسلام ؛ فلنَّ نلتمس العزة بغيره))[1] .

ومن أجل ذلك كله فإنَّ الغربيون يخافون من الإسلام، وأصبح هذا الخوف هاجساً مستقراً في أعماقهم، وذلك بسبب الفتوحات الإسلامية في الماضي، وبسبب الأخطار المحتملة في المستقبل، وهذا هو المستشرق الكندي المعاصر (ولفرد كانتول سميث) يقرر أنَّ أوروبا لا تنسى الفزع الذي ظلت تزاوله عدة قرون من الفتح الإسلامي، وانَّ هذا الفزع لا يدانيه شيء في العصر الحديث، ويقول المستشرق الأمريكي "روبرت بين" : "إنَّ الدنيا أسباباً قوية لدراسة العرب، والتعرف على طريقتهم، فقد غزوا الدنيا من قبل، وقد يفعلونها ثانية، إنَّ النار التي أشعلها محمد ما تزال تشتعل بقوة، وهناك ألف

1 - أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، كتاب : الزهد، باب : كلام عمر بن الخطاب -ﷺ-، (7 / 93)، رقم الحديث (34444)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (1 / 118)، برقم (52) .

سبب للاعتقاد بأنَّها شعلة غير قابلة للانطفاء"[1]، ولكي يتجنب الغربيون خطر هذا الإسلام المخيف، فقد رأوا ضرورة سلخ المسلمين عن دينهم، وتحللهم من مبادئهم، وذلك من خلال الغزو الفكري لعقولهم وأفكارهم حتى يتخلصوا من عقائد دينهم التي تدعوهم إلى الجهاد، ومقاومة المعتدين، وتبعث في نفوسهم الحمية والأنفة من الخضوع للمستعمر، ولقد لخص (جلادستون) - رئيس الوزراء البريطاني – كل ذلك في مقولته المشهورة : " ما دام القرآن موجوداً في أيدي المسلمين ؛ فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق" [2] .

المطلب الثالث
عوامل نجاح الغزو الفكري

لقد أسهمت عوامل أساسية أدت إلى قيام الغرب ولجوئه إلى الغزو الفكري، فقد ساعدت على نجاح هذا الغزو وأدت إلى سهولة و سرعة انتشاره، فمن أهمها كالآتي:

1- **الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي:**

لقد فشل الأوروبيون في حروبهم الصليبية ضد المسلمين، وباءت حملاتهم بالفشل الذريع، إلا أنَّ اتصالهم بالمسلمين طوال قرنين من الزمان من نهاية القرن الحادي عشر إلى آخر القرن الثالث عشر الميلادي - قد اتاح لهم أنَّ يتعرفوا على ما لديهم من كنوز وثروات، وأنَّ يطلعوا على حضارتهم وثقافتهم التي أسهمت في نهضتهم الحديثة، وأتاح لهم أيضاً أنَّ يدركوا أثر الإسلام في وحدة المسلمين وفي قوتهم الذاتية، ومن ثم فأنَّهم عادوا إلى بلدانهم وهم يفكرون في العودة للثأر والانتقام من المسلمين، والقضاء على الإسلام، فقد كان الاستعمار يبني النهضة الحديثة أولاً في بلاده، كي يحقق تقدماً علمياً

1 - مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، (ص 596 – 597) .
2- دراسات في الفكر الإسلامي، عبد المقصود عبد الغني، (ص 96) .

يتيح له بناء قوة عسكرية، ومضى في طريق النهضة والتقدم العلمي ،وأول ما قام به الاستعمار إعداد جيش قوي مجهز بأحدث الأسلحة، حتى إذا ما أحس بتقدمه وتفوقه في مجال القوة العسكرية عاد إلى الشرق لتحقيق أطماعه، والثأر من الإسلام والمسلمين، وفي خلال قرنين ونصف أي منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد تمكن الاستعمار الغربي المسيحي من السيطرة سيطرة تامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقها، واتخذ له نقطة ارتكاز رئيسية في أفريقيا، كما تمكن من نفوذه إلى قلب العالم الإسلامي، وذلك طوق العالم الإسلامي من الشرق والغرب، وسلط دسائسه على بقية المجتمعات الإسلامية الأخرى بين هذين الطرفين، فوهنت هذه التجمعات وانحل عقدها، وسقط بعضها إثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي، وما جاءت الحرب العالمية الأولى، وانقضى أجلها حتى أصبح العالم الإسلامي كله تحت نفوذ هذا المستعمر[1] .

لقد وصف الغرب بأنَّ الإسلام الجدار الوحيد ضد الاستعمار الأوروبي، وذلك بسبب حيويته البالغة، ودعوته إلى الجهاد، حيث نهض بالدور الأكبر في حشد جميع طاقات الأمة، حتى استطاعت اقتلاع الكيانات الاستيطانية الصليبية التي زرعها الغزاة الصليبيون في قلب العلم العربي والإسلامي قرابة القرنين من الزمان، وقد تعلم الاستعمار من ذلك الحدث درساً نسيناه نحن المسلمين، فمنذ بدء الهجمة الاستعمارية الحديثة على بلاد المسلمين كانت عين كل دول الاستعمار على الإسلام ؛ إذ تسعى إلى عزله، وتجريد الأمة منه، كي لا تتسلح في مقاومة الغزو الإمبريالية كما تسلحت به قديماً ضد الصليبيين [2] .

ومن أجل ذلك تعاون المستعمرون في مختلف البلاد المستعمرة مع المنصرين والمستشرقين، حيث اتفقوا فيما بينهم على إخراج المسلمين من الإسلام، وإذا لم يتيسر ذلك فيكفي تمييع علاقاتهم به، واستخفافهم

1 - المصدر السابق، (ص 93 – 94) .
2 - المصدر السابق، (8 /347 - 349) .

بأحكامه، وهجرهم لقرآنه، واهتمامهم بمظاهره وأشكاله، فعلى سبيل المثال يقول اللورد (كرومر) وهو أول معتمد بريطاني في مصر : " إنَّ مهمة الرجل الأبيض الذي وضعته العناية الإلهية على رأس هذا البلاد – يقصد مصر -، هو تثبيت دعائهم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن، بحيث تصبح هي أساس العلاقات بين الناس، ولكن كان من الواجب – منعاً من إثارة الشكوك – ألا تعمل على تنصير المسلمين، وأنَّ يرعى من منصبه الرسمي المظاهر الزائفة للدين الإسلامي كالاحتفالات الدينية وما أشبه ذلك[1].

2- شدة الانبهار بحضارة المستعمر[2] :

إنَّ الجيوش التي سخرها المستعمرون للبلاد العربية لم يخلقوا أثراً فكرياً في أفراد الأمة العربية، ولكن أخذ الغزو الفكري منحنى آخر، فقد استيقظت الأمة الإسلامية على خطر الغزوة الاستعمارية المحملة بالعديد من الأفكار الثقافية الهادمة، والتي بدأها (بونابرت) بحملته على مصر 1798م، وتنبهت على وقع أقدام الجيوش التي جاءت إلى المسلمين مسلحة بحضارة حديثة متنصرة، وحققت انجازات رائدة ورائعة في ساحات العلوم والفنون والآداب، واقتحمت هذه الجيوش بلاد المسلمين، فقد كان المسلمين أنذاك في حالة ركود وتخلف، بحيث لا يمكن أنَّ تصمد في معرض المقارنة بينه وبين التقدم الأوروبي الحديث[3] .

جاءت أوروبا في هذه الغزوة الجديدة للمسلمين ومعها حضارة جديدة براقة ومؤثرة، واتسعت على امتداد الرقعة الإسلامية، ومهدت طريقها بغزو فكري واجتماعي غلاب، وأخذت مراكز الحكم والتوجيه ؛ فكان المسلمين أنذاك بمثابة الجسد المنهك، وذلك بسبب العلة الوافدة إليهم من أروبا فزادتهم ضعفاً وإنهاكاً، قال رسُول الله - ﷺ -: ((يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها))، فقال قائل : ومن قلة نحن

1 - واقعنا المعاصر، محمد قطب، (ص 202) .
2 - الفكر والثقافة الإسلامية، عدنان زرزور، (ص 26 - 28) .
3 - الإسلام والمستقبل، محمد عمارة، (48 – 49) .

يؤمئذ؟ قال : ((بل أنتم يؤمئذ كثر ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن))، فقال قائل : وما الوهن ؟ قال: ((حب الدنيا وكراهية الموت))[1] .

إنَّ مرحلة الوهن التي عاشها المسلمون كان أكبر الأسباب التي مكنت للغزاة من السيطرة على البلاد الإسلامية، وذلك بعد انحلال الشخصية الإسلامية نوعاً ما، ثم استطاعوا بعد ذلك تبديل وجهتها ومسارها، وتنفيذ مخططهم الرهيب في اقتلاع هذا الدين من نفوس أتباعه، وتفريغهم من مضمونة الصحيح [2].

لقد برعت هذه الحضارة الغازية في استخدام أساليب الغزو الفكري، ونجحت في تأصيل المناهج الضالة وعرضها عرضاً مغرياً، واستخدام كل تجارتها العلمية وطرائقها في ذلك وتدعيمه، حتى لتعدو وسائل الأمم والحضارات السابقة فنوناً ساذجة، إذا قيست بما استخدمته – ولا تزال تستخدمه – هذه الحضارة الغازية من فنون المكر والخدع والتضليل، والتي تقف وراءها أجهزة مدرية وذلك من أجل تأصيلها، وفلسفتها والتخطيط لها، وإعداد برامجها ومناهجها ومتابعتها بالتنفيذ والرصد والتعديل والإحصاء والتحليل والمقارنة، وهذا الغزو المنظم المدروس يستخدم القصة التمثيلية، والمسرح، والسينما، والإذاعات بأنواعها، والكتب، والمجلات، والصورة، والمقالة حتى الطرائف والأمثال الشائعة من أجل كسب قضاياه، وتحقيق الأهداف، والوصول إلى ما يسمونه أنفسهم بعمليات غسيل المخ، وزرع ذاكرة جديدة في رؤوس الأجيال، حتى ينشئ جيل ولاءه الفكري والنفسي للغرب، ومثله وحضارته، ويتوجب على المسلمين أنَّ يقفوا في وجه الزحف المخيف معتصمين ومتمسكين بشريعتهم، مثلما وقفوا من قبل ضد التتار والصليبيين ؛

1 - أخرجه أحمد في مسنده، من حديث ثوبان ﷺ -، كتاب : مسند الأنصار، باب : حديث ثوبان - ﷺ -، (37 / 82)، رقم الحديث (22397)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (2 / 647)، برقم (958) .

2 - الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، محمد أسد، (ص 59 – 61) .

لكنهم في هذه المرة انبهروا بما عند الغرب، فكان ذلك الانبهار أدى إلى الانهيار التام أمام القوة الغالبة، وتسليم القيادة لها بلا تحفظ، والرضا بالتبعية الكاملة ؛ بل الامتنان والاغتباط، إذ قبلت القوة الظافرة أنّ تعتبرها من بين الأتباع، ولم يحدث ذلك إلا بالهزيمة الداخلية للمسلمين الناجمة عن التخلف العقدي، حيث فقدوا الروح الإيمانية التي جاهدوا بها من قبل ضد حملات التتار والصليبيين، لذلك فأنّهم لم يصمدوا طويلاً أمام هذا اللون من الغزو، وكان انهيارهم عنيفاً غير معهود من قبل، وانهارت معه الأمة وأسلمت نفسها للتيار الغربي، ومن نتائج هذا الغزو الفكري الحديث توجيه ضربة مروعة للأجيال، إذ نجح في تنشئة الأجيال على حب الغرب، والتعمق في مناهجه وأساليبه وطريقه عيشه في الحياة، فهذه الحرب الخبيثة - الغزو الفكري- كانت أكبر وأشد مما فعله فرعون ببني إسرائيل؛ لأنها فتت أجيالاً متتابعة من المسلمين فتنةً عارمةً، وتركتهم على الردة الصامتة البالغة غاية الكفر، فقد دثروها لهم بثوب زور، ودلسوا عليهم باسم التقدم والحضارة، ثم بلغت الغفلة غاية مداها حين قابل المسلمون ذلك بالإقبال، وكان خليقاً أنّ يستثير منهم عزائم النزال والقتال، والتأني والاستعصام[1].

المطلب الرابع
شبهات المستشرقين ومطامعهم للغزو الفكري

تعددت أهداف المستشرقين وتنوعت أساليبهم ووسائلهم، حيث سلكوا طرقاً عديدة في الوصول إلى أغراضهم منها: التدريس الجامعي، وجمع المخطوطات العربية، والتحقيق والنشر والترجمة، بالإضافة إلى الاشتراك في المجمعات اللغوية، والمجامع العلمية في العالم الإسلامي، ولكن أخطر وسائلهم على الاطلاق كانت هي التأليف، حيث ألفوا كثيراً من الكتب التي تطعن في الإسلام؛ إذ قاموا في تأليف ذلك في دائرة المعارف الإسلامية،

1 - واقعنا المعاصر، محمد قطب، (ص 199- 201) .

التي امتلأت بالأباطيل، وبالرغم مما تميزت به مؤلفاتهم ودراساتهم بالصبر والجلد، إلا أنَّها احتوت على أخطاء جسيمة عمداً أو جهلاً، ولم يقصدوا بها في الغالب خدمة العلم والفكر؛ وإنَّما كانت في جملتها خدمة مباشرة للدول الاستعمارية، والمؤسسات التنصيرية بغرض تطويق الإسلام والقضاء عليه، ولذلك كان هدفها الأعمق التشكيك والنقد الجائر للإسلام، وانطلقت منها الشبهات المدروسة واحدة تلو الأخرى، وذلك من أجل النيل من الإسلام والطعن به بدءاً بالقرآن الكريم في ذاته، وانتهاء بسنة رسُول الله -ﷺ- ورواتها من الصحابة - رضوان الله عليهم-، في محاولة لطمس لكل معالم المجد في التاريخ الإسلامي، ويمكن تلخيص هذه الشبهات كالآتي [1]:

1- التشكيك بصحة رسالة رسُول الله -ﷺ- ومصدرها الإلهي، وترديد الشبهات القديمة حول القرآن الكريم رغم تهافتها، وسقوطها في الميزان العلمي الصحيح.
2- التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علمائنا المحققون، وذلك بحجة ما دخل عليه من وضع ودس، ومتجاهلين ما بذله علماؤنا من جهود عظيمة لتنقية الحديث الصحيح من غيره، ومستندين في ذلك إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري.
3- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية، فذلك التشريع الهائل الذي لم يجمع مثله بجميع الأمم في جميع العصور.
4- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري .
5- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا ؛ ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم، ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم؛ فيكونوا عبيداً لهم، وتضعف روح المقاومة في أنفسهم.

1- ينظر : الاستشراق والمستشرقين، مصطفى السباعي، (ص 20 24)، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، محمد أسد، (ص 88 – 90)، احذروا الأساليب الحديثة، سعد الدين صالح، (ص 120 – 121) .

6- **إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم، عن طريق إحياء القوميات التي كانت قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم.**

ومن خلال النظر إلى الشبهات التي أثارها المستشرقين يتبين أنَّها لم تسلم ناحية واحدة من نواحي الإسلام عقيدة ومنهجاً ونظاماً وتطبيقاً وتاريخياً وأمة من شبهاتهم ومطاعنهم، مستغلين في ذلك ما كان عليه أغلب المسلمين في هذا الوقت من تخلف مادي وحضاري، وما كانوا يشعرون به من انهزام سياسي ونفسي، حيث حرموا من التربية الدينية الصحيحة، والتعليم الإسلامي السليم.

المطلب الخامس
موقف علماء الإسلام من الغزو الفكري

اتخذ علماء المسلمين سبلاً لمواجهة نشاط الغزو الفكري الذي يتنامى يوماً بعد يوم داخل الدول الإسلامية، فمن أهم تلك المواقف التي اتخذها المسلمون في محاربة الغزو الفكري وهي[1]:

1- **تأهيل العلماء والأساتذة والباحثين، وإقامة المؤتمرات والندوات والمحاضرات، والمناظرات من أجل الكشف عن أساليب المستشرقين، وافتراءاتهم والشبهات التي يثيرونها، والرد عليها بالحجج والبراهين العلمية.**

2- **نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة بين الطلاب، والمثقفين، وذلك منأجل تحصينهم من الغزو الاستشراقي وافتراءاته.**

3- **عدم السماح بإقامة نشاطات ومؤتمرات ولقاءات استشراقية في البلاد الإسلامية، ولو كانت تحت عناوين فكرية أو علمية.**

1- ينظر : المدخل إلى الثقافة الإسلامية، عبد الإله الملاَّ، (ص 210 – 219)، الثقافة الإسلامية، علي بادحدح، (ص 89- 95) .

4- دعم وتقوية البرامج الإذاعية والتلفزيونية الهادفة وبخاصة البرامج الدينية التي تحصن المسلمين من افتراءات المستشرقين.

5- الإكثار من طبع ونشر وتوزيع الكتب والمنشورات والأشرطة الإسلامية، وإنشاء المواقع الإلكترونية التي تشغل نور الإيمان في النفوس، وتعمل على المحافظة على الهوية الإسلامية.

6- الإستعانة بالمؤسسات الخيرية للتبرع والمساهمة في التصدي لتلك النشاطات الاستشراقية التخريبية، وذلك من خلال دعم المدارس والجامعات والمراكز الثقافية لتلك النشاطات.

7- العمل على تلافي الضعف العلمي والفني في مجالات النهضة المعاصرة وعلومها، وذلك من أجل تقليل الفجوة بين الدول الإسلامية والدول المتقدمة.

لقد وقف علماء الإسلام - ولا يزالون – بجل جهدهم في مواجهة الغزو الفكري بطرق وأساليب شتى؛ إذ وقفوا لهم بالمرصاد، وقاموا بدحض مفترياتهم، ودرء شبهاتهم وفضحها لعامة الناس، فقد قاموا بالدعوة إلى الإسلام، وإحياء تعاليمه، والعودة إلى ما كان عليه رسُول اللّه - ﷺ- وأصحابه - رضوان اللّه عليهم - ، ومقاومة الاستعمار، والوقوف في وجه حملاته وغزواته، وذلك من خلال تقوية العقيدة الإسلامية في النفوس، وتحصين المسلمين ووقايتهم من الوقوع في حبائل الغزاة من المنصرين والمستشرقين، وذلك بتزويدهم بالثقافة الإسلامية الصحيحة، وإبراز حقائق الإسلام، وما يتميز به من كمال وشمول، ويبقى أنَّ تتحول أعمالهم الفردية إلى أعمال جماعية منظمة، وذلك بالعمل داخل مؤسسات إسلامية منظمة، ويتم التعاون فيما بينهم عن طريق الجامعات الإسلامية، أو منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي.

وبناء على ما تقدم نستنتج أنَّ الغزو الفكري الذي قام به الغرب هدفه تدمير الإسلام من الداخل، والتأثير على المسلمين من خلال محاولة تبني مجموعة من الأهداف من أجل تدميرهم في جميع مناحي الحياة.

المبحث الثالث
العلمانية، ونشأتها، ودوافعها، وآثارها
المطلب الأول
تعريف العلمانية

أ- معنى العلمانية لغة:

لا يوجد معنى كلمة العلمانية في معاجم اللغة العربية القديمة، وقد وردت في بعض المعاجم الحديثة ومن ذلك:

قال أحمد مختار عمر: "اسم منسوب إلى عَلْم: على غير قياس: بمعنى عَالم، غير دينيّ يُعنى بشئون الدنيا فقط، ويعتقد بفصل الدِين عن الدولة - نظام فكر علماني – "[1].

وقال أيضاً: " هو رجل علماني، فقاعدة النسب تقتضي زيادة الياء المشددة على المنسوب إليه دون تغيرات أخرى"[2].

وقال خليل الجسر : "علماني: ما ليس كنسياً ولا دينياً"[3] .

وقال إبراهيم مصطفى: "العلماني نسبة إلى العلم بمعنى العَالم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي"[4] .

وقيل: العلمانية: بفتح العين، كلمة أعجمية، ظهرت في أوروبا منذ القرن التاسع عشر، وترجمتها الصحيحة-اللادينية -[5].

1 - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، (مادة ع ل م)، (2 / 1545) .
2 - معجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر، (مادة : ع ل م)، (1 / 544) .
3 - المعجم العربي الحديث، خليل الجسر، (مادة : ع ل م)، (ص 342) .
4 - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، (مادة : ع ل م)، (2 / 624) .
5 - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة"، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ص689-696) .

ب- تعريف العلمانية اصطلاحاً:

عرف العلماء المتأخرون كلمة العلمانية بمعناها الاصطلاحي بتعاريف كثيرة، وبينوا خطرها على الإسلام والمسلمين، فمن أهم التعاريف كالآتي:

قال ابن جبرين: "مذهب جديد وحركة فاسدة تهدف إلى الإكباب على الدنيا والانشغال بشهواتها وملذاتها، وجعلها هي الهدف الوحيد في هذه الحياة، ونسيان الدار الآخرة والغفلة عنها، وعدم الالتفات إلى الأعمال الأخروية أو الاهتمام بها"[1].

وقال بكر بن عبد الله أبو زيد: "قيام الدولة في الحكم والإدارة والسياسة على غير الدين. وغايته: فصل الدين عن الحياة، وهي غايةٌ إلحادية"[2].

وقال محمد قطب: "مذهب هدام يُراد به فصل الدين عن الحياة كلها وإبعاده عنها، أو هي إقامة الحياة على غير دين، إمَّا بإبعاده قهرًا، ومحاربته علنًا كالشيوعية"[3].

وقال عبد الرحمن حنبكة: "الاتجاه الذي لا يعتبر الدين، ولا يهتم به، ولا يقيم له وزناً في شؤون الحياة"[4].

وقال حمود الرحيلي: "دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي"[5].

وقال شحاته محمد صقر: "وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين"[6].

1 - فتاوى في التوحيد، ابن جبرين، (ص 39) .
2 - معجم المناهي اللفظية، بكر بن عبدالله أبو زيد، (مادة ع ل م)، (ص 387) .
3 - العلمانية، محمد قطب، (ص 5) .
4 - كواشف زيوف في المذاهب المعاصرة، عبدالرحمن حنبكة، (ص 163) .
5 - العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود الرحيلي، (ص 334) .
6 - شريعة الله لا شريعة البشر، شحاته محمد صقر، (ص 79) .

وقال السيد أحمد فرج: "اصطلاح جاهلي غربي يشير إلى انتصار العلم على الكنيسة التي حاربت التطور باسم الدين "[1].

وقال ناصر القفاري: "حركة تهدف إلى فصل الدين وعزله عن شؤون الحياة العامة في الحكم والسياسة والاقتصاد والشؤون الاجتماعية والتعليمية وغيرها، وحصره في المسجد أو الضمير فقط"[2].

المطلب الثاني
أسباب نشأة العلمانية وانتشارها، وانتقالها للمسلمين

لقد ظهرت العلمانية في أوروبا في عام 1648م مع بروز الفكر القومي عند الأوروبيين، ثم جاءت الثورة الفرنسية ضد سيطرة الكنيسة ورجال الدين النصارى على على مقاليد الحياة العامة، فأرست قواعد العلمانية وبثتها في شؤون الحياة العامة، وشؤون الحكم والسياسة خاصة[3]، وكان لظهور العلمانية ونشوءها في أوروبا عدة أسباب أهمها:

1- **تطور الفكر العلمي الأوروبي في عصر النهضة ضد الكنيسة ورجالها، مما جعل العلماء والمفكرين الأوروبيون يعيدون النظر في أوضاعهم، وأوضاع شعوبهم وبلادهم، ويثورون ضد تعاليم الدين النصراني المحرف، ويتهمونه بالخرافة ومحاربة العلم والتطور، ويرفضون سيطرة الكنيسة وطغيان رجالها، والادعاء بأنَّ البابا في مدينة روما بإيطاليا يُمثل اللّه في الأرض، وانَّه تجب طاعته المطلقة؛ لأنَّ له السلطان المطلق على جميع الناس دون نقاش ولا مراجعة، حتى وصل الأمر بالبابا إلى أنَّه يتوج الملوك، ويخلع من شاء منهم إذا رفضوا أوامره، ووصل الأمر برجال الدين**

1 - جذور العلمانية، السيد أحمد فرج، (ص 105) .
2 - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر الفقاري، (ص 103) .
3 - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي (ص 367) .

الآخرين إلى التدخل في عامة شؤون المجتمع، والاحتكار على العلم، ومحاربة العلماء والمفكرين، وقتل أو حرق الخارجين منهم على أوامر الكنيسة وطاعتها[1]، فقد مارست الكنيسة أقصى درجات القمع الفكري والبدني في معارضيها، بحيث جنت على الدين حيث صورته للناس دين الخرافة والدجل والكذب، وذلك بسبب إصرارها على أنّ تنسب إليه ما هو منه زوراً، وساعدها في ذلك دقة تنظيم المؤسسات الدينية من القاعدة العريضة الممتدة في كل الأقاليم، إلى قمة الهرم الذي يتربع عليه البابا في روما، وحين انكشف للناس الحقائق، وقدمت البراهين القاطعة على صحة أقوال أهل العلم، انحازوا للحقيقة ونبذوا الكنيسة ودينها [2].

2- **قيام الثورة الفرنسية في باريس عام 1789م، ومناداتها بشعارات خلابة جذابة مثل: (الحرية، العدالة، والإخاء، والمساواة)، حيث لقيت هذه الشعارات القبول والتأيد والحماس من جماهير الناس الغاضبة، الذين اضطدتهم الكنيسة، فقاموا بتحطيم سلطتها، وتأييد الثوار ضدها، فحققت بذلك أبرز أهداف الثورة في تغيير الأوضاع السائدة من قبل، والقضاء على سلطة الكنيسة، ورجال الدين النصارى، والحد من طغيانهم، وتحكمهم في أمور الحكم والسياسة، ونتيجة لذلك تم حصر نشاطهم داخل المعابد والكنائس، ثم تبع فرنسا في الثورة على تسلط الكنيسة، ونشر العلمانية العديد من الدول الأخرى بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وأستراليا، واليابان ... الخ [3].**

1 - النظام السياسي في الإسلام، سليمان قاسم العبد وزملاؤه، (ص 165 – 167) .
2 - العلمانية التاريخ والفكرة، عوض محمد القرني، (ص 3) .
3 - الحلول المستوردة، يوسف القرضاوي، (ص 51) .

3- ظهور نظريات وفلسفات إلحادية فيما بعد، بحيث أسهمت بشكل كبير في الدعوة إلى العلمانية وترويجها، وشجعت على الخروج على الأديان، وعلى إبعادها عن جميع مجالات الحياة، وكان من تلك النظريات كالآتي[1]:

أ) نظرية (دارون) في التطور الخِلقي، فقد ذكر في كتابه أصل الأنواع : "أنَّ الجد الحقيقي الأول للإنسان ليس آدم -عليه السلام- ؛ بل جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، ثم تطورت فكان منها القرد الذي يُعدَّ مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان – أي آدم – آخرها".

ب) نظرية (كارل ماركس)، حيث أعتبر الأديان أفيون الشعوب، ونادى بالتفسير المادي للتاريخ، وأنَّ الحافز المالي هو الباعث على جميع النشاطات الإنسانية عبر العصور.

ج) فلسفة (نتيشة) في الإلحاد، حيث زعم أنَّ الإله قد مات، وأنَّ الإنسان الأعلى الخارق - السوبر مان -، ينبغي أنَّ يحل مكانه، وأنَّ يُعطى الفرد أهمية كبيرة في الوجود، وأنَّ على المجتمع إنتاج أفراد موهوبين، وأبطال وعباقرة، ودعا كذلك إلى التمييز بين الشعوب والأمم، وتفضيل الشعب الألماني على كل شعوب أوروبا.

د) فلسفة (فرويد) في الجنس، حيث اعتمد على الدافع الجنسي في تفسير جميع الظواهر والنشاطات الحياتية؛ بل إنَّه اعتبر الإنسان حيواناً تسيره الدوافع الجنسية، وتؤثر في جميع تصرفاته.

ه) نظرية الفيلسوف الوجودي (جآن بول سارتر)، فقد دعا إلى الإلحاد وإنكار وجود الله - سبحانه وتعالى -، والكفر برسله و- عليهم السلام - وكتبه، وكل الغيبيات التي جاءت بها الأديان السماوية، وزعم أنَّ الإنسان أقدم شيء في هذا الوجود، وأنَّ ما قبله كان عدماً، وأنَّ للإنسان الحرية المطلقة للبحث عن مصالحه وملذاته في الحياة، وأنَّ الأخلاق أمر نسبي متغير.

1 - الثقافة الإسلامية، يوسف الطريف، (ص 190 - 191) .

- انتقال العلمانية إلى بلاد المسلمين[1]:

انتقلت العلمانية مع الاستعمار الأوروبي إلى البلاد الإسلامية المستعمرة، وكانت في أول الأمر في زعمها على إصلاح الجانب السياسي، وتدعو إلى الديمقراطية كأساس لنظام الحكم، فمن أهم تلك الأسباب :

1- الاحتلال العسكري الاستعماري للعالم الإسلامي :

بدأت العلمانية تنتقل مع الاستعمار الأوروبي إلى البلاد الإسلامية المستعمرة، وكانت في أول الأمر تقتصر على إصلاح الجانب السياسي، وندعو إلى الديمقراطية كأساس لنظام الحكم، ففي عام 1830م احُتلت الجزائر من قبل فرنسا، وتم التخلي تدريجياً عن تحكيم الشريعة الإسلامية، وبدأت ثقافة فصل الدين الإسلامي عن الحياة العامة تنتشر بين الأفراد، وبخاصة الطبقة المثقفة التي درست في أوروبا، وأبدت تعاطفها مع فرنسا، ثم حدث مثل ذلك في تونس والمغرب ؛ أما مصر فقد دخلت إليها العلمانية مع حملة (نابليون بونابرت)، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الجبرتي حيث ذكر: أنَّ الخديوي إسماعيل كان مفتوناً بأوروبا، وأنَّه كان يطمح أنْ يجعل مصر قطعة من أوروبا، فبدأ في عام 1883م بالتخلي تدريجياً عن تحكيم الشريعة الإسلامية، في شؤون المجتمع المصري، والعمل بالقانون الفرنسي، وقد لقي هذا التحول حينئذ قبولاً عند بعض الأقليات، وعند المبهورين بالغرب فمن مثله طه حسين، وأمين الخولي، وسلامة موسى، وأمَّا الهند التي كانت بلاداً إسلامية تحكم بالشريعة الإسلامية فقد انتشرت فيها أفكار العلمانية، والتخلي عن الشريعة الإسلامية، وذلك بعد أنَّ احتلتها بريطانيا، ووجدت من رحَّب بها وناصرها، ممن درسوا في أوروبا، وتأثروا بثقافتها، وأفكارها المعادية للإسلام، ثم تبعتها تركيا التي سيطر عليها مصطفى كمال الذي تظاهر بالدفاع عن الإسلام، ومحاربة أعدائه اليونانيين، وقام بإلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية في عام 1934م، وبدأ بتطبيق القوانين الأوروبية وفصل الدين عن الدولة، ومحاربة المظاهر الإسلامية، ومنع الأذان باللغة العربية، وأمَّا بلدان أفريقيا المسلمة فتقاسمها العديد من الدول الأوروبية

1 - مقدمة في الثقافة الإسلامية، محمود أبو عامر، (ص 131) .

الاستعمارية، واستبعدوا المسلمين من الحكم، ومن إدارة شؤونها العامة، واستعانوا بالنصارى والوثنيين، وعملوا على نشر العلمانية، وإبعاد الدين عن النشاطات العامة، وحصره في المساجد ودور العبادة ؛ أمَّا العراق فاحتلتها بريطانيا في بدايات القرن العشرين الميلادي، وقطعت صلتها بأحكام الشريعة الإسلامية، وكذلك فعلت فرنسا في بلاد الشام بعد أنَّ أحتلتها في بداية القرن العشرين الميلادي، ووجدت من يناصرها في ذلك من بعض الدارسين في أوروبا، ومن الطوائف الغير مسلمة، وتتابع هذا الحال في انتشار العلمانية، واستبعاد تحكيم الشريعة الإسلامية في إندونيسيا، وفي دول جنوبي شرق آسيا الإسلامية، التي احتلتها هولندا وغيرها .

2- **تخلف المسلمين في مجال التقدم العلمي:**

بدأت النهضة الصناعية تظهر في الغرب في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد كان الجمود والتخلف بدأ يدب في أوصال الدولة العثمانية التي كانت تتربع على عرش الخلافة الإسلامية، وتهيمن على أقاليمه وأقطاره، ولقد سجل التاريخ للسلاطين العثمانيين الأوائل جهوداً مشكورة في الدفاع عن الإسلام، ولكن المتأخرين منهم، لم يكونوا على المستوى الذي يمكنهم من مجاراة ركب الحضارة، فقد اطمأنوا إلى الحياة الدنيا وزينتها، واستبدلوا بالحكم، وحرصوا على عروشهم، ودب التنافس بينهم للبقاء والاستيلاء، فنزلت بهم سنة الله - سبحانه وتعالى -، وفتن بعض السلاطين المتأخرين بالدساتير والقوانين الغربية، فحاولوا تطوير الدولة حسب المفاهيم الغربية، كما كان ليهود الدونمة دور في تشكيل الجمعيات والأحزاب السرية، والتي تدعو إلى تقويض الأساس الإسلامي الذي قامت عليه الدولة، والجمعيات والأحزاب التي تدعو إلى القومية، والمحافل الماسونية التي رفعت شعاراتها التي رفعتها في أوروبا (الحرية، المساواة، العدالة)، فكل ذلك كان معاول هدم في جسم الدولة العثمانية إلى أنَّ توجوا تلك الجهود بإلغاء الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى عام 1924م.

3- البعثات التي أرسلت إلى الغرب لتلقي العلوم:

إنَّ مع بروز القوة الصناعية والاقتصادية والتكنولوجية في الغرب إلى يومنا هذا يعتبر الغرب قبلتهم في كل شيء، فأرسلوا فلذات أكبادهم وهم في سن المراهقة، وقبل أنَّ يحصنوا عقدياً وفكرياً؛ بل كثير منهم لا يعلم من دينه شيئاً، بحيث ألقوا بهم في أحضان زعماء الفكر العلماني الغربي والشرقي، بعد أنَّ وقعوا فريسة الإباحية والتحلل الأخلاقي، وقد أرسل كثير منهم لتلقي الفيزياء والكيمياء والطب والأحياء والرياضيات ؛ فعادوا بالأدب والفن واللغات والعلوم الاجتماعية والنفسية، وأصبحوا سفراء للغرب في بلدانهم، وللغة للبلد الذي أوفدهم والفكر والثقافة والعواطف والمشاعر والدعوة للبلد الذي تخرجوا منها وثقفوا على أيديهم.

4- البعثات التبشيرية:

إنَّ مهمة البعثات التبشيرية في العالم الثالث تختلف من منطقة إلى أخرى، فالإرساليات إلى المناطق التي يدين أهلها بالوثنية مثل بعض الدول الأفريقية ودول جنوب شرق آسيا، كانت مهمتها تتركز في إدخال السكان إلى النصرانية، أمَّا في بلاد المسلمين لا يتحقق لهم ذلك، وقد أدركوا أنَّه من المستحيل أنَّ يحولوا المسلمين إلى النصرانية، فأكتفوا بتشكيك المسلمين في دينهم، وزعزعة ثقتهم بصلاحية الإسلام للعصر الحديث، وليس أجدى من العلمانية وسيلة لهذا الغرض .

5- المدارس والجامعات الأجنبية في بلاد المسلمين :

فتحت العديد من المدارس والجامعات كثيرة في طول بلاد المسلمين، وكان ذلك في أواخر خلافة الدولة العثمانية، وكان تحت إشراف السفارات والبعثات الدبلوماسية، وفي كثير من الأحيان تحت رعاية الإرساليات التبشيرية، وزودت هذه المدارس والكليات والجامعات بأرقى وسائل التعليم وبأمهر المدرسين، وكانت تفتح أقساماً داخلية والإناث، لكي يتولوا تربيتهم من جميع جوانبها، فكانت هذه المؤسسات التعليمية من أمضى الأسلحة الغرب في السيطرة على الحياة الفكرية والثقافية في بلدان العالم الإسلامي،

وتخرج منها عشرات الألوف من الطلاب، ليتولوا مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية والإدارية والثقافية في بلدانهم، فكانوا من أمهر دعاة العلمانية وحراسها في بلاد المسلمين .

6- التأليف والنشر والدوريات ووسائل الإعلام:

انشأت العديد من الجمعيات والأحزاب العلمانية مؤسسات إعلامية ضخمة، ونشرت للكُتَّاب من رواد العلمانية نتاجهم الفكري والأدبي، ودارت معارك أدبية بين المحافظين من أنباء المسلمين، وبين رواد العلمانية، وأشغلت الرأي العام ؛ إذ كانت المنابر التي يصعد عليها العلمانيون للإعلان عن آرائهم، وبث أفكارهم كانت على قدماً، وأكثر ضياء وأوسع انتشاراً، ولا زالت المنابر الإعلامية إلى يومنا تضيق على المسلمين، وتفسح صدورها للعلمانيين.

المطلب الثالث
آثار العلمانية[1]

تركت العلمانية آثارً عميقة في جميع مجالات الحياة في العالم الإسلامي، فمن أهمها كالآتي :

الأثر الأول: في مجال الثقافة والتعليم .

حمل دعاة العلمانية حملة شعواء على ثقافة الأمة وتراثها الحضاري، وبثوا سمومهم وشكوكهم في أصالة التراث الثقافي للمسلمين، وزعموا أنَّها لم تأت بجديد ، وأنَّ جديدها منقول من الأمم الأخرى، ولم تسلم عقائد الأمة وثوابتها من الطعن واللمز والغمز ؛ بل قام من يشكك بالوحي المنزل على رسُول الله -ﷺ- ، والتشكيك في مصدر القرآن الكريم ؛ ليثيروا من جديد ما سبقهم إليه مشركو العرب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ

1 - الثقافة الإسلامية، مصطفى مسلم و فتحي محمد الزغبي، (ص 271 – 276) .

ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً ﴾ { **الفرقان: ٤ – ٥**}، **ووجه الدلالة من الآية قال الطبري- رحمه الله -: "وقال هؤلاء الكافرون بالله - سبحانه وتعالى -، الذين اتخذوا من دونه آلهة: ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد إلا كذب وبهتان اختلقه"**[1].

ولما كانت معجزة القرآن الكريم واضحة - ولا يزال تحديه مستمراً إلى قيام الساعة- كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ { **البقرة: ٢٣ -٢٤**}، **ووجه الدلالة من الآية قال جلال الدين السيوطي**[2] **- رحمه الله - : "وإن كنتم في شك من صحة ثبوته وصدق قوله: إن القرآن منزل عليه من عند الله، فأتوا بسورة من مثله فإن لم تقدروا على ذلك "** [3] .

---

1 - جامع البيان، الطبري، (19 / 237) .

2 - هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن الهمام الجلال الأسيوطي الأصل الشافعي، وهو من خيرة العلماء الأفاضل المجتهدين، ومن المصنفين المكثرين، ولد في أول ليلة مستهلّ رجب سنة 849 ه، ونشأ يتيما فحفظ القرآن، والعمدة، والمنهاج الفرعي، وألفية النحوي. أخذ السيوطي العلم عن خيرة علماء عصره، وأخذ من كل فنّ، وسافر إلى «الفيوم» ودمياط، والمحلة الكبرى، وتوفي سنة 911 ه، وصنف التصانيف المفيدة النافعة ؛ فقد استفاد بمصنفاته من عاصره، ومن جاء بعده إلى عصرنا الحاضر، أهمها : (الجامع الكبير)، (الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير)، (الإتقان في علوم القرآن)، (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، (تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك) الخصائص والمعجزات النبوية؛ طبقات الحفاظ؛ طبقات المفسرين؛ الأشباه والنظائر ينظر ترجمته : الضوء اللامع ، السخاوي ، (4 / 35)، البدر الطالع، الشوكاني، (1 / 328) .

3 - نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، جلال الدين السيوطي ، (2 / 121) .

وإنَّ إدراك معاني القرآن وأسراره لا تفهم إلا باللغة العربية شنوا هجوماً على لغة العربية، تارة يدعون دعوى صعوبة قواعدها ونحوها، فأرادوا في زعمهم تيسيرها بالدعوة إلى استخدام العامية، وإلغاء قواعد النحو، وتارة بصعوبة إملاءها وكتابتها فدعو إلى الاستبدال بها بالحروف اللاتينية، ولا زال المشككين ينعقون بين الحين والآخر بنفايات الفكر العلماني على ثوابت الأمة وعقائدها ؛ ولكن هذه الهجمات أثرت في طبقة من أنباء الأمة الذين لم يكن لهم رصيد من العقيدة يصونهم، وخلفية ثقافية عن اللغة العربية ودورها في خدمة الإسلام، وصيانة وحدة الأمة الإسلامية، وربط الجديد المستحدث بالأصيل الجديد ؛ إذ تعددت مدارسهم في التشكيك في ثوابت الأمة، فتارة يرفعون شعار الحداثة، وتارة يرفعون شعار التطور والتقدمية، وكل ما قل ضعفوا في وسيلة شدوا في عدة وسائل، أمَّا على مستوى المناهج التعليمية فكان أثر العلمانية أشد وأعظم، وذلك نظراً لتبوأ العلمانيين المناصب التي أسند إليها التخطيط والتوجيه، فكان أنَّ قلصوا ساعات تدريس الإسلام؛ إذ حصروا تدريسه بعقائده وعباداته وأخلاقه وتشريعاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ساعتين في الأسبوع، وفي بعض الأقطار الإسلامية في ساعة واحدة ؛ بل ألغيت من أساسها في بعض الدول، ولم تحتسب درجات مادة التربية الإسلامية في معدل الشهادة الثانوية في بعضها، أمَّا المدارس الدينية والجامعات الإسلامية، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم فلا زالت المضايقات عليها، وتغيير مناهجها، واتهام القائمين عليها بالرجعية والأصولية وخريجيها بالإرهاب والتطرف، ولا زالت الحرب على أشدها، وقد اشتدت بعد تبني العلمانية شعار العولمة في جميع ميادين الحياة.

الأثر الثاني: في المجال الاجتماعي:

تبنى العلمانيون مبادئ المدارس الغربية في علم الاجتماع وعلم النفس، وكذلك في نظرية دارون في التطور، وعلى الرغم من انتقاد الغربيين أنفسهم لكثير من النظريات وبيان خطرها، إلا أنَّ دعاة العلمانية لا يزالون ينادون بها، لأنَّها نظريات مبنية على الإلحاد والكفر بالله - سبحانه وتعالى،

وبالوحي المنزل منه، واتخذ العلمانيون قضية المرأة وحقوقها ذريعة للقضاء على عفتها وحجابها واهتمامها بأسرتها، ليخرجوها من حصنها الحصين الذي جعلها الإسلام لها، لتنافس الرجل في ميادين العمل والكسب، وتسبب في ذلك ضياع للأجيال، وكثرة حالات الطلاق، وارتفاع نسبة العوانس، وكثرة العاطلين عن العمل لحلول المرأة بديل عنهم، وعلى الرغم من ادعاء العلمانية للديمقراطية، ولكن كثير من الدول التي يتحكم فيها العلمانيون، إذ منعوا حجاب المرأة، وأقاموا الحظر على المحجبة في وظائف الدولة ؛ بل مدارسها وجامعتها، واستهدفوا البنية الأساسية للمجتمعات، فوجهوا ضربات خبيثة نحو الأسرة، فتبنت محافلهم الدولية ما يقشعر لها الأبدان بالسماح بالزواج بين المتماثلين، وحرية المرأة في الاتصال الجنسي بمن تشاء، وحرموا تعدد الزوجات بنص الدساتير، وأباحوا تعدد الخليلات، وحرموا الزواج المبكر للفتيات، وأباحوا لها الزنا، فكان ذلك نتاج العلمانية التي تعاني منها الشعوب قاطبة، وخاصة المسلمون الذين اتبعوا هذه الأنظمة الفاسدة، ونتج عن ذلك تمرد الأبناء والبنات على أعراف الأسرة وتقاليدها، وانتشرت الرذيلة تحت شعار الفن، وكثرت النوادي المختلطة، ودور عرض الأجساد العارية باسم الحفلات وعروض الأزياء، وساعدت وسائل الإعلام على وصول كل هذه الصور والمناظر إلى كل بلد وإلى كل بيت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ {النور: ١٩}، ووجه الدلالة من الآية قال الطبري - رحمه الله -: "إنَّ الذين يحبون أنَّ يذيع الزنا في الذين صدّقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم، لهم عذاب وجيع في الدنيا، بالحدّ الذي جعله الله - سبحانه وتعالى - حداً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك، وفي الآخرة عذاب جهنم إنَّ مات مصراً على ذلك غير تائب"[1].

1 - جامع البيان، الطبري، (19 / 133) .

الأثر الثالث: في مجال الحكم والتشريع:

تمكن العلمانيون من إلغاء الخلافة الإسلامية، وتحويل دساتير الدول التي أقامها المستعمر إلى دساتير علمانية بعضها ينص على علمانية الدولة، وبعضها ينص على أنَّ دين رئيس الدولة الإسلام، وبعضها ينص أنَّ دين الدولة الإسلام، وبعضها يجعل الإسلام مصدراً من مصادر الدستور كالعرف والعادة، حيث أحلوا الدساتير الأجنبية وقوانينها محل الشريعة الإسلامية في الحكم والقضاء وأنظمة الدولة، ولم يبقوا سوى قانون الأحوال الشخصية المتعلق بالزواج والطلاق والإرث مستمداً من الشريعة الإسلامية، وحتى قانون الأحوال الشخصية عبثت به بعض الدول، ليجعلوا قيوداً على الزواج والطلاق والإرث، فالعلمانيون جعلوا الدولة تنخلع من الإسلام، وترتدي لباس العلمانية في كل شؤون الدولة، ولم يعيروا اهتماماً للآيات القرآنية التي تتحدث عن مجال الحكم والتشريع، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ { **النساء: ٦٥**}، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ {**المائدة: ٤٤**}،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ {**المائدة: ٤٥** }، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ {**المائدة: ٤٧**}؛ **بل أطلق العلمانيون أقلامهم ليشككوا في الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، ويدعون إلى التخلص منه جملة وتفصيلاً - كما فعلت أوروبا بالنصرانية -، وكلما ارتفعت أصوات المسلمين بالعودة إلى الإسلام، ونبذ القوانين الغربية الوضعية التي جاءت بالويل والدمار على بلاد المسلمين، وانتشار الانحرافات والتبعية للغرب في بلاد المسلمين، وذلك بحجة بأنَّ في بلاد المسلمين طوائف غير إسلامية**

لا بد من مراعاة أوضاعها ومشاعرها ؛ إذ لم تكن موجودة هذه الطوائف والأقليات غير الإسلامية قبل مجيء العلمانيين ؛ بل كانوا مواطنين في الدولة الإسلامية، إذ يتمتعون بجميع حقوق المواطنة، وأحلوا مفهوم الولاء للقومية والوطنية والإقليمية، وأي رابطة غير إسلامية محل الولاء لله - سبحانه وتعالى- ولرسوله- ﷺ-، وللمؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ { المنافقون: ٨}، ووجه الدلالة من الآية قال مكي بن أبي طالب - رحمه الله - " ولله - سبحانه وتعالى - العزة والشدة ولرسوله- ﷺ- والمؤمنين، والمنافقين لا يعلمون ذلك " [1] .

الأثر الرابع: في مجال المال والاقتصاد:

رأى العلمانيون في الغرب قدوتهم في كل شيء بما أنَّ الغرب متقدم اقتصادياً، فأرادوا أنَّ يحدوا حذوهم في الاقتصاد، فاستوردوا مناهجهم الاقتصادية، ولكنهم لم يدركوا أنَّ الغرب بدأ بناء الاقتصادي من القاعدة الأساسية، وكان نموه وتطوره طبيعياً؛ أمَّا العالم المتخلف فظنوا أنَّ إقامة المصانع برؤوس أموال أجنبية وخبرات أجنبية ستجعل اقتصادهم متقدماً وقوياً، ولكنهم شعروا فيما بعد أنَّهم أصبحوا تحت رحمة الغرب وسياساته، فلو منعوا مثلاً قطع الغيار عنهم لتعطلت مطابعهم ومركبهم وجميع صناعاتاهم، وإذا سحبوا الخبراء لتوقف العمل في مصانعهم، والدول التي تحررت عن الغرب واحتلالها عسكرياً وقعت تحت الاستعمار الاقتصادي، وانتقل داء الغرب المزمن - التعامل الربوي -، وسيطرة رؤوس الأموال على الحياة الاقتصادية والسياسية إلى العالم الثالث - الدول العربية - ، فأقاموا المؤسسات الربوية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وربطوا حياة الناس ومشاريعهم الزراعية والصناعية وتجارتهم كلها بالبنوك الربوية، التي تمتص مدخرات الشعوب

1 - الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، (12 / 7489) .

وكدح العاملين فيها، لتصب في النهاية لأرصدة اليهود، حيث يتحكمون بزمام المؤسسات الربوية العالمية، فقد شنع الله - سبحانه وتعالى - على اليهود ؛ لأنهم أكلوا أموال الناس بالباطل وتعاملهم بالربا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ {**النساء: ١٦١**}، **ووجه الدلالة من الآية قال أبو السعود - رحمه الله - : "إنَّ الربا كان محرماً عليهم كما هو محرم علينا، وفيه دليل على أنَّ النهي يدل على حرمة المنهي عنه "** [1] .

وحذر هذه الأمة بسلب الإيمان عنهم، وإعلان الحرب عليهم إنَّ لم يتركوا التعامل بالربا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ { **البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩**}، **ووجه الدلالة من الآية قال محمد علي الصابوني - رحمه الله - : " واخشوا ربكم وراقبوه فيما تفعلون، واتركوا ما لكم من الربا عند الناس إنَّ كنتم مؤمنين بالله - سبحانه وتعالى - حقاً، وإنَّ لم تتركوا التعامل بالربا فأيقنوا بحرب الله ورسوله لكم، وإنَّ رجعتم عن الربا وتركتموه فلكم أصل المال الذي دفعتموه من غير زيادة ولا نقصان "** [2] .

1 - إرشاد العقل السليم، أبي السعود، (2 / 253) .
2 - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، (ص 158) .

ولم يدركوا أنَّ البركة والنماء فيما أحله الله - سبحانه وتعالى -، وأنَّ المحق والنقص فيما حرمه الله - سبحانه وتعالى-، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ { البقرة: ٢٧٦}، ووجه الدلالة من الآية قال مكي بن أبي طالب - رحمه الله - "ينقص الله - سبحانه وتعالى - الربا ويذهبه، ويضاعف الصدقات وينميها"[1].

الأثر الخامس: في مجال الإعلام والفن:

إنَّ الإعلام والاقتصاد هما وسيلتان اللتان تتحكمان في الرأي العام، واتخذ زعماء العلمانية قراراً بالسيطرة على بناء الإعلام في العالم، وعلى المؤسسات الاقتصادية الدولية والمحلية، وكانت منابرهم مهيمنة لنشر الأفكار والترويج لها، وإفساح المجال لدعاة العلمانية لتشكيك والطعن فيمن شاءوا، وقد كان التضييق مسلط على المفكرين الإسلاميين، وقد استخدم الإعلام من ناحية أخرى تحت عنوان الترفية، وذلك من أجل هدم أخلاق الأمة الإسلامية، ونشر الرذيلة بدعوى الحرية الشخصية وباسم الفن، وكلما تقدمت وسائل الإعلام وتطورت كلما اتسعت دائرة الفساد والانحطاط الأخلاقي ونشرها بين الناس، ووجدوا أنَّ أنفع وسيلة لصرف المسلمين وبخاصة الشباب عن المسجد وسائل الإعلام التي توجههم إلى دور الفساد واللهو والفجور، ومن اللافت النظر أنَّ الأفلام والمسلسلات والمسرحيات وغيرها كلها توجه لترسيخ مفاهيم معينة في أذهان الناس، بحيث تمرد الشباب والفتيات على العادات والتقاليد والقيم الخلقية بدعوى الحرية الشخصية، فالعلمانيين يأخذون بمقولة بعض المنصرين : ليس بالضرورة أنَّ توجه المسلمين إلى طريق الكنيسة، ولكن المهمة أنَّ تصرفهم عن طريق المسجد [2] .

1 - الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، (1 / 908) .
2 - الغارة على العالم الإسلامي، مساعد اليافي و محب الدين الخطيب، (ص 345) .

المطلب الرابع
موقف علماء الإسلام من العلمانية [1]

صدرت فتاوى كثيرة من علماء المسلمين ونصت في مضمونها على الحكم على العلمانيين بالردة، وذلك لمخالفتهم أحكام الشريعة الإسلامية، فيدرك كل مثقف أو طالب علم شرعي أنَّ العلمانية والإسلام على طرفي نقيض، وذلك لأنَّ العلمانية تتعارض مع الإسلام ؛ بل تسعى لتقويضه وهدمه من الداخل، ولا يكفي إصدار أحكام على العلمانية والعلمانيين فقط ؛ بل لا بد من اللجوء إلى العمل الايجابي الذي ينبغي التركيز عليه من حيث البناء وإعداد الشباب المسلم المتسلح بقيم الإسلام، مع مراعاة معايير البناء من حيث:

1- بناء الفرد المسلم كما بناه رسُول اللّه - ﷺ- ابتداء بالعقيدة الصحيحة، ثم الواجبات الفردية، والالتزام بها، ثم العمل وفق المنهج الإسلامي لإعادة الحياة العامة وإخضاعها لأحكام الشريعة، وهذا يقتضي تضافر الجهود في جميع المستويات، وأول مجال ينبغي الالتفات إليه كيفية بناء الأسرة - باعتبارها اللبنة الأولى في البناء - ، والمدرسة، والمؤسسات التعليمية على مختلف مستوياتها .

2- إيجاد البدائل الإسلامية في الإعلام المرئي والمسموع والمقروء تكون منطلقاته من مبادئ الإسلام، وتصوراته لشؤون الحياة وأهدافه، وتوفير الحصانة الفكرية والسلوكية للمسلمين، والجمع بين الدعوة إلى الالتزام بأخلاق الإسلام وسلوكياته، وبين المتعة والتسلية في إطار جمالي لا يقل في الكفاءة عن الإعلام المنحرف في جاذبيته وتسليته، والألوان التي يقدمها للمشاهدين والمستمعين والقراء، وينبغي على المفكرين والكُتَّاب والتربويين المسلمين، وتكتيف جهودهم في إخراج إعلام هادف.

1- الثقافة الإسلامية، مصطفى مسلم وفتحي الزغبي، (ص 277 - 278) .

3- إقامة مؤسسات اقتصادية تلتزم بالتعامل وفق مبادئ الاقتصاد الإسلامي، وابعاد الربا والمعاملات الغير مشروعة عن ساحات عملها، وإدخال عالم التكنولوجيا والوسائل الحديثة في إجراء معاملاتها، وذلك لأنَّها ضرورة لا يستغنى عنها، إذ هي أمور علمية لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وأحكامه، كما هو الحال في استخدام التقنيات المتطورة في جميع مجالات الحياة في الإعلام والتربية وغيرها.

4- وضع تشريعات وقوانين مستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية، وثوابت الإسلام وتنظيمها وفق متطلبات العصر وسهولة تطبيقها، بحيث إذا رغب الحاكم أو القاضي في الوصول إلى حكم قضية وصل إليها من غير مشقة.

وبناء على ما تقدم نستنتج أنَّ العلمانية تيار معادي للإسلام والمسلمين، والواجب على المسلمين أنَّ يكونوا يد واحدة في مواجهة ومحاربة أسبابه وقطعها.

المبحث الرابع
العولمة، ودوافعها، ومجالاتها
المطلب الأول
تعريف العولمة

أ - معنى العولمة لغة:

تُعَّد كلمة العولمة في معناها اللغوي من المصطلحات اللغوية الجديدة التي جاءت من الغرب إلى بلاد المسلمين، إذ لا توجد بالمعاجم القديمة هذه الكلمة، وقد ورد ذكرها في المعاجم الجديدة أهمها :

قال أحمد مختار: "عولمَ يعولم، عولمةً، فهو مُعولِم، والمفعول مُعولم"[1].

1 - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، (مادة : عولم)، (2 / 1541) .

وقال إبراهيم السامرائي: "ولقد أجاز مجمع اللغة المصرية من استعمالها لجريانها على قواعد التصريف، حيث اشْتُقَّت من(العالَم) - بفتح اللام - على (فوعلة) لإفادة هذا المعنى الجديد الذي لا يمكن تجاهله، ويُعَّد وزن (فوعل) في اللغة من أوزان الملحق بالرباعي التي تدل على تعدي الأثر إلى الغير"[1].

ب - تعريف العولمة اصطلاحاً:

عرف المفكرون الإسلاميون المعاصرون العولمة بمعناها الاصطلاحي بالعديد من التعريفات أهمها:

قال عبد الصبور شاهين: "سيادة نظام واحد تقوده في الغالب قوة واحدة "[2].

وقال عابدين بن محمد السفياني: "سيادة نظام واحد تقوده في الغالب قوة واحدة تتدخل في أمور الاقتصاد، والاجتماع، والسياسة، والثقافة، دون اعتداد يُذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو الانتماء إلى وطن محدد، أو لدولةٍ معينة، ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية"[3].

وقال عبد الرحمن بن زيد الزنيدي: "غزو اقتصادي وثقافي تحت غطاء قانوني من المعاهدات والاتفاقات، أو عبر انفتاح إعلامي انترنيتي- وفضائي لا خطام له ولا زمام"[4].

وقال عبد الرحيم السلمي: "هي فكرة ومذهب هدفه إزاحة أي عقبة أمام انتقال رأس المال، فرأس المال ينتقل من هذا البلد إلى ذاك البلد بدون أي عوائق، سواء كانت عوائق أخلاقية أو عوائق الجمارك التي هي العوائق النظامية، أو أي عائق من العوائق " [5] .

1 - معجم ودراسة في العربية المعاصرة، إبراهيم السامرائي، (مادة : عولم)، (ص 44) .
2 - نحن والعولمة، عبدالصبور شاهين، (ص 37) .
3 - العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر، عابدين بن محمد السفياني، (ص 17) .
4 - العولمة الغربية والصحوة الإسلامية، عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، (ص 16) .
5- شرح الرسالة العبودية لابن تيمية، عبدالرحمن السلمي، (6 / 6) .

المطلب الثاني
أهداف العولمة

تسعى العولمة إلى طمس هوية الشعوب، وتشويه عقائدها وثقافتها وتاريخها، وذلك من خلال عدة أهداف تبنتها في سياستها تجاه المسلمين، فمن أهم الأهداف كالآتي[1]:

1- **الهيمنة على اقتصاديات العالم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال السعي لسيطرة الاحتكارات والشركات الأمريكية الكبرى على اقتصاد الدول.**
2- **التحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم لخدمة المصالح الأمريكية، وما يسمى بالأمن القومي الأمريكي على حساب مصالح الشعوب، وثرواتها الوطنية والإقليمية.**
3- **إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب.**
4- **تدمير الهويات القومية، والثقافة القومية للشعوب.**
5- **مضاعفة فرص المجموعات الأقوى التي كانت تسيطر في الأصل على عناصر القوة الاقتصادية والعلمية والتقنية والثقافية وغيرها.**
6- **ثراء الدول العظمى على حساب الدول الفقيرة وإثقال كاهلها بالديون، مما يزيد ذلك من انتشار الفقر في دولهم.**
7- **اختراق القومية، والقيام بتفتيت بعض الدول والكيانات .**
8- **فرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية على الشعوب، وذلك بقصد استغلالها ونهب ثرواتها، مما يؤدي إلى بروز نوع جديد من الاستعمار التي عرفها العالم .**
9- **القضاء على الهوية الثقافية والقومية، وعلى تراث الأمة والشعوب الفكرية والحضارية.**

1- ينظر : العولمة، محمد سعيد أبو زعرور، (ص 30 – 31)، الثقافة الإسلامية والتحديات الفكرية المعاصرة، حسن عبد الغني أبو غدة، (ص 73) .

10- توظيف التفوق التقني والاختراعات الحديثة المتطورة - في العالم الغربي عموماً، والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً -، من أجل تمكين المصالح الاقتصادية والسياسية لتلك الدول في البلدان الأخرى، واستنزاف خيراتها، واستغلال شعوبها، وعرقلة مسيرتها.

11- إزالة الحواجز الاقتصادية بين دول العالم لصالح الدول القوية اقتصادياً وعسكرياً والمتقدمة تقنياً، والسماح لرؤوس الأموال الكبرى بالاستثمار دون قيود.

12- التمكين من حرية تدفق المعلومات الأمريكية وغيرها، وبخاصة عبر شبكة الإنترنت، سواء كانت المعلومات إخبارية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو رياضية، أو اجتماعية، أو دينية، أو ثقافية.

المطلب الثالث
مجالات العولمة

ساعدت الثورة العلمية والمعلوماتية التي اكتسحت العالم منذ بداية التسعينات على تسهيل حركة الأفراد والأموال والأفكار والأموال والسلع والمعلومات والأفكار بين شعوب العالم وأقطاره، مما دفعت إلى سرعة انتشار مفاهيم العولمة وتداعياتها، بحيث ظهرت العولمة في مجالات متعددة من مجالات الحياة، بحيث تشكل شبكة من العلاقات الدولية المعاصرة، فمن أهم هذه المجالات كالآتي[1]:

المجال الأول: المجال الاقتصادي – العولمة الاقتصادية -[2].

إنَّ الدعوة إلى العولمة الاقتصادية رفعها مؤيدين العولمة ومصمموها، بحيث يمنون فقراء العالم بال رفاهية، وارتفاع مستوى المعيشة، ودعت إلى حرية السوق، وتيسير سبل انتقال الأموال والسلع، والخبرات بين الدول وذلك من خلال:

1 - الثقافة الإسلامية، مصطفى مسلم، فتحي محمد الزغبي، (ص 288- 293) .
2 - ينظر : فخ العولمة، عدنان عباس علي، (ص 25) ، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، أحمد مجدي حجازي، (ص 129)، ظاهرة العولمة (الواقع والآفاق)، الحبيب الجناحي، (ص 19– 20)..

1- وضع التخطيط الاقتصادية للدول بيد المؤسسات الدولية، وتنظيم الاقتصاد العالمي عن طريق المؤسسات التي تهيمن عليها الدول الصناعية الكبرى، فأصبح للبنك العالمي، وصندوق النقد الدولي ،والمنظمة العالمية للتجارة السباقة في وضع السياسة الاقتصادية لدول العالم، وبخاصة الدول النامية والفقيرة، ولكن سرعان ما تكشف أنَّ الأصابع التي تحرك هذه المؤسسات الدولية أصابع رؤوس الأموال الغربية، وأصبح 358 ملياردير يملكون ما يساوي مجموع ما يملكه نصف سكان العالم، وأنَّ 20 ٪ من دول العالم هي الأكثر ثراء، وتستحوذ على 85 ٪ من مجموع مدخرات العالم .

2- القضاء على الشركات المحلية التي أدت سياسة انتشار العولمة الاقتصادية إلى انتشار الشركات المتعددة الجنسيات، وابتلاعها الشركات المحلية والخاصة في العالم الثالث، والاستحواذ على الخامات المحلية، ورفع أسعار السلع المصنعة، مما أدى إلى إعلان إفلاس كثير من المصانع والشركات الصغيرة نسبياً، بحيث سُرِّح العاملون منها، وارتفعت نسبة البطالة في العالم، مما أدى إلى أنَّ تتسع الفجوة بين الفقراء الذين ازدادوا فقراً، وبين الأغنياء الذين ازدادوا غنى، فالعولمة تستهدف الشرائح القادرة على الاستهلاك في كل مكان، فلا مكان للفقراء في حساب الشركات المتعددة الجنسيات، بحيث جعلته سوقاً واحدة مفتوحة أمام بضائعها، فقد ساهم ذلك إلى ظهور مشكلات متعددة عابرة للقارات كالمخدرات ن وجرائم غسيل الأموال، وتلويث البيئة، والأمراض الفتاكة، وإلى عولمة الفقراء، والقضاء على الطبقة المتوسطة، وتحويل مجتمع الرخاء إلى واجبات الثراء ؛ بل أصبحت القوة الاقتصادية سلاحاً فعالاً في أيدي الدول الكبرى لإسقاط نظم الحكم، أو الضغط عليها لإتباع سياسات معينة، وذلك لإتباع سياسات معينة، بأسلوب إغلاق الاستثمارات المالية، أو حض رؤوس الأموال على الهجرة، أو الضغط على عملة معينة لتدهور وتنهار.

المجال الثاني: العولمة السياسية[1]:

إنَّ أصحاب السلطة أشبه ما يكون بدور رجال الإطفاء، حيث يركضون في كل الاتجاهات لإطفاء البطالة، والإرهاب، والعنف، والجريمة، وعصابات المافيا، وذلك من أجل المحافظة على رؤوس الأموال في الأجواء الهادئة للاستمتاع بثرواتهم، والتخطيط للاستزادة منها، وذلك من خلال :

1- **السعي للقضاء على الحدود الجغرافية بين الدول وربط المجتمعات بمصالح اقتصادية وثقافية تتخطى الدول، وتتجاوز سيطرتها التقليدية على مجالها الوطني المحلي، وبرز دور الشركات العملاقة في التحكم في سياسات الدول ؛ بل هناك أصوات تنادي بأنَّ تحل الشركات محل الدول، واقتصرت مهمة الدولة في زمن العولمة على أنَّ تكون مضيفة للشركات المتعددة الجنسيات، وفي الدول الفقيرة حراساً لهذه الشركات.**

2- **الدعوة إلى الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحرية تقرير المصير التي صاحبت العولمة، أو كان من بين شعاراتها السياسية تلاشت على إيقاع الضربات الاقتصادية، وأجهز عليها الممارسات العملية للدول الكبرى في تعاملها بمعايير مزدوجة التي طبقتها في أنحاء العالم، وبخاصة العالم الإسلامي في فلسطين والشيشان وكشمير وأفغانستان، وأمَّا غير المسلمين فلها شأن آخر كما جرى في تيمور الشرقية، ودول أوروبا الشرقية – لا تفيا ولتوانيا -، حيث قررت مصيرها وسهلت لها الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة.**

3- **لقد كشفت العولمة القناع عن وجهها كأداة للهيمنة، ومن ثم قمع وإقصاء للخصوصيات، فهي غزو جديد بأسلوب جديد، وهو غزو مدجج بقوة الإعلام، والاقتصاد، والسياسة، والقانون الدولي، والاتفاقات الدولية، وإنَّ احتاج الأمر فالحصار والتجويع والترويع وقتل الآمنين، وعلى رأس المستهدفين العالم الإسلامي؛ لأنَّ الإسلام القوة الوحيدة**

1- الإسلام دين العالمية لا العولمة، جمال البنا، (ص 149)، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، أحمد مجدي حجازي، (ص 129) .

المستعصية على العولمة، وذلك لأنَّه لم يقبل النموذج الغربي، ولم يتخل عن ثوابته العقدية والخُلقية.

المجال الثالث : العولمة الاجتماعية[1]:

إنَّ العولمة تهدف بأساليبها وممارستها من خلال إعلامها الجبار أنَّ تُغير البنية الاجتماعية للشعوب والأمم، إذ تستهدف المقومات الأساسية في بناء المجتمعات، لتزيلها وتقيم مكانها روابط جديدة حسب مفاهيم العولمة وذلك من خلال:

1- إنَّ الكثير من المجتمعات تقوم على أساس الأسرة التي تكون نواتها الأساسية من الزوجين الذكر والأنثى، بحيث يربط بينهما رباط مقدس وهو عقد النكاح، وتكون محضن للأولاد بحيث يبدلون جهودهم لتربيتهم حسب مبادئ وأسس ومعتقدات كل شعب من شعوب العالم، وإنَّ من أساسيات ما تستهدفه العولمة إزالة هذا الأساس، وهذه المقومات في المجتمع بالقضاء على روابط الأسرة ومقوماتها، حيث عقدت مؤتمرات السكان والمرأة في بكين والقاهرة واسطنبول في العقد الأخير من القرن العشرين تحت مظلة الأمم المتحدة ومؤسساتها، إذ تدعو إلى تحرير المرأة من جميع القيود التي تحدد سلوكياتها، وارتفعت الأصوات في هذه المؤتمرات تدعو إلى إباحة تكوين الأسرة من ذكرين أو أنثيين، وإلى إعطاء حق الطلاق للمرأة كما للرجل، وإلى حق الإجهاض، وإلى تعدد الأزواج لهن، وإباحة الزنا للمراهقين، واعتبار الزواج من الفتيات قبل سن الثامنة عشرة جريمة يعاقب عليها القانون، وبدأوا بحماية الشواذ وذلك بتشكيل التجمعات والمطالبة بقوة حمايتهم، وتغيير نظرة المجتمع إليهم، فأصدر الرئاسة الأمريكية أمراً بإعادة الاعتبار إليهم، وقبولهم في الجيش الأمريكي الذي كان يرفضهم في السابق، ودخل الشواذ ضمن قائمة الفئات في انتخابات الرئاسة الأمريكية، والآن بدأ بالمطالبة أنَّ تفتح المحاكم في الولايات المتحدة الأمريكية أبوابها

1 - المسلمون والعولمة، محمد قطب، (ص 13)، فخ العولمة، عدنان عباس علي، (ص 25).

لزواج المثلين الذكر بالذكر، أو الأنثى بالأنثى، وقد سبقت بعض دول أوروبا إلى هذا العمل الشنيع، بعد أنَّ استجابت بعض الكنائس لضغوطهم، ومنحت بركتها للشواذ، وأجرت مراسيم زواجهم في قاعاتها الرسمية، فقد بلغت درك الهبوط الذي لم تهبط البشرية إليه قط في تاريخها كله، فكل ما ينادون به من القبائح قد حدث في تاريخ الأمم، ولكن لم تكن له شريعة ؛ إنما كان يرتكب خفية، أو شبه خفية، ثم إنَّه لم يكن واسع الانتشار ؛ لأن النفس البشرية التي كرمها الله - سبحانه وتعالى -كانت تستبشع أنَّ تمارس الانحطاط الحيواني باسمه الصريح، والحالات الشاذة كحالة قوم لوط -عليه السلام-، إذ تعتبر بالنسبة لمجموع البشرية حالة فردية شاذة ملعونة في الأرض والسماء .

2- امتداد سلطان العولمة، مما زاد من اتساع سلطان الجريمة ؛ لأنَّ سيطرة الشركات الضخمة على رؤوس الأموال، والسعي وراء الأرباح التي يدفعها لتقليص النفقات، ولا يكون ذلك بإحلال التقنيات الحديثة محل اليد العاملة، فكثر العاطلون عن العمل، وبالتالي تنتشر الجريمة في المجتمعات الجائعة، وخير شاهد على ذلك ما قام به رئيس شركة ميكروسيتمز أنَّه استغنى عن خدمة عشرات الألوف من الموظفين والعمال من مقر الشركة، وفي المستقبل القريب سيتخلى عن هؤلاء ليقللهم إلى نصف العدد.

3- 3 - إنَّ نتائج العولمة على المجتمعات مدمرة، لأنَّها تسعى إلى تغيير القيم الاجتماعية، وتقدم إلى الناس بأيسر الطرق؛ فإذا تخلى الناس عن قيمهم سهل انقيادهم وراء شهواتهم إلى ما يريدون، إذ يسعى أرباب العولمة أنَّ تحل رابطة المصلحة محل رابطة العقيدة الإسلامية، والقيم الخُلقية بين الناس، فحيثما رأى الناس مصالحهم ركضوا وراءها، ولقد رافق الدعوة إلى العولمة فرض الإباحية الغربية، والإلحاد والفساد الأخلاقي، وانتشار الفوضى الجنسية، والشذوذ، والانحراف لتكون قانوناً عاماً،

كما رافق ذلك الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل، إلى حد إلغاء الفوارق الطبيعية الفطرية بينهما.

المجال الرابع: العولمة الثقافية [1]:

إنَّ العولمة الثقافية تهدف إلى فرض الثقافة الغربية في البلدان الإسلامية بشتى الطرق والوسائل المتاحة إليها وذلك من خلال :

1- استهداف هوية الأمة وثقافتها، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يكيف سلوكه وفق معتقداته وثقافته ؛ فإذا أراد إحداث تغيير في مجتمع ما لابد من تغيير ثقافته ونظرته إلى الإنسان والكون والحياة وفلسفته في ذلك، إذ دعاة العولمة يريدون إحلال ثقافة مكان ثقافة، ومعتقدات مكان أخرى، وإحلال فلسفة محل فلسفة، فقد سخروا الإعلام لغزو ثقافة المصلحة واللذة لطمس القيم والأخلاق ومبادئ العقيدة، حيث أسند وكالات الإلان في نيويوك لتقرير المنتجات الثقافية الأكثر رواجاً للتسويق في العالم، وبما أنَّ الغرب يدرك طبيعة الإسلام التي تستعصي على التذويب والتمييع فهم يعدون للمنازلة القادمة مع الإسلام، إذ يعدونه العدو الأول للحضارة الغربية .

2- لقد رفعت في الغرب شعار صراع الحضارات مع ظهور الدعوة إلى العولمة، والتضييق على المسلمين في كل المجالات، ورافقها في ذلك الضغط على الحكام في العالم الإسلامي، وذلك بتنفيذ مخططات معينة، والهدف من ذلك تقليص المدارس الإسلامية، وإغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم، وتغيير مناهج الجامعات الإسلامية، وتقليص الدراسات الشرعية فيها، وتطعيمها بالدراسات العلمية العامة والتقنيات الحديثة، وتغيير مناهج وزارات التربية والتعليم، وحذف الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وخاصة التي تذم اليهود والنصارى، وتدعو إلى عدم ولائهم، أو عدم الاطمئنان إليهم، وإقامة دورات لخطباء

1 - ينظر : الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم مبروك، (ص 110)، رسالة المسلم في حقيقة العولمة، ناصر العمر، (ص 102) .

الجمعة، والأئمة في المساجد لتلقينهم المبادئ التي ينبغي أنَّ يراعوها في مخاطبتهم للجماهير، وعلى رأسها تجنب إثارة بعض اليهود والنصارى، وفي حال قراءة الآيات التي تتعلق بهم فلا يعلقوا عليها، وكل من يخالف تلك المبادئ يفصل من وظيفته.

3- إنَّ الأنماط التي تحملها وسائل الإعلام على مختلف الأصعدة التي تدعو إلى اكتسابها بطريقة غير مباشرة، حيث تحمل رسالة العولمة التي تحاول إيجاد في واقع الحياة، فالثقافة الاستهلاكية التي تبثها وسائل الإعلام لتحل محل أعراف وعادات وتقاليد نشأت عليها الأجيال، وهذا لون من ألوان ثقافة العولمة التي تريد حمل الناس إليها، وذلك من خلال المظاهر التي تبرز كالملابس وقبعات الرأس ونوعية المآكل والمشرب والوجبات السريعة ... الخ، ونتيجة تطور وسائل الإعلام والاتصال فقد غزت الثقافة الغربية ونمط حياتها كل بيت على مدار الساعة، حيث أصبح التلفزيون الذي يبث برامجه بألوان مختلفة، وبأسلوب جذاب يجعل أفراد الأسرة على مختلف مستوياتهم وبمختلف أعمارهم يتلقون هذه البرامج ويتعرضون لهذه التغييرات بهدوء والانصياع بطريقة سهلة، لينصبغوا بالصبغة الغربية معتقداً وثقافة وسلوكيات اجتماعية، وأمَّا شبكة المعلومات العالمية - الإنترنت – فلها شأن آخر في عرض الأفكار والقيم والمغريات بأسلوب يتسم بالمرونة لغزو المسلمين عقائدياً وفكرياً.

المطلب الثالث

موقف علماء الإسلام من العولمة[1]

1 - الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، إيمان سعد الدين، (ص 20)، بتصرف .

دعا علماء الإسلام إلى التحذير من العواقب السلبية من العولمة، وذلك من خلال النظر إلى آثارها السيئة في مجالات الحياة، والتي تنعكس على المسلمين، وإنّ السبيل في مواجهتها كالآتي:

1- الالتزام بتعاليم الإسلام على كل فرد داخل المجتمع، والحفاظ على الهوية الثقافية المتميزة، واعتمادها في التعاملات المحلية والإقليمية والدولية.
2- مواجهة الأفكار والمخططات والنشاطات الهدامة بوعي وشجاعة، والرد عليها بالحجة والبرهان، وبيان أخطارها على المسلمين.
3- العمل على إيجاد تكامل سياسي واقتصادي وتعليمي بين الدول الإسلامية .
4- تعزيز الانتماء الديني لدى الأجيال، وغرس الوعي الإسلامي والإنساني والعلمي في نفوسهم.
5- الاهتمام بالجانب الإعلامي، وإنشاء العديد من الإذاعات والقنوات الفضائية باللغات الغير عربية - لتعريف الغرب بمبادئ الإسلام والتعريف به عند غير المسلمين - ورفده بالبرامج الهادفة المنوعة.
6- التصدي للأفكار المسمومة، والتحذير من خطرها على الشباب المسلم، وذلك من خلال المحاضرات والندوات التثقيفية ومواجهتها ببيان آثارها السيئة على المجتمع.
7- العودة إلى العقيدة الإسلامية التي تستقي مبادئها من القرآن الكريم، والسُنَّة النبوية المطهرة.
8- تنمية الاقتصاد الإسلامي من خلال الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات العالمية ومبتكراتها، والبعد من التعاملات الربوبية المشبوهة.
9- النهوض بالمجتمعات الإسلامية، والتسريع في تقدمها وازدهارها، ومواكبتها للتطور العلمي في شتى المجالات.

وبناء على ما تقدم نستنتج أنَّ العولمة تسعى إلى غزو المسلمين في جميع مناحي حياتهم، والسيطرة على ثرواتهم الاقتصادية واستغلالها لصالح أعداءهم

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدرها تقديراً، وصور شكل الإنسان فأحسنه تصوراً، ومنحه العقل، وجعله سميعاً بصيراً، وشرَّفه بما عرفَّه به من العلم، ونوَّر قلبه تنويراً، وتهليلاً، وتكبيراً، وأرسل محمداً ﷺ إلى الناس كافة الخلق بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه كتاباً هادياً ومنيراً

ثم أمَّا بعد:

وبعد الدراسة التي أفادتني في موضوع البحث: التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية فقد توصلت إلى أهم النتائج الآتية:

1- **إنَّ الثقافة الغربية تسعى لتدمير الإسلام والمسلمين في بلدانهم والسيطرة عليهم.**
2- **محاولة زرع قيم ومبادئ الغرب في نفوس المسلمين.**
3- **تقليد بعض المسلمين للثقافة الغربية والتأثر بها.**
4- **هيمنة الغرب على المسلمين في جميع المجالات.**

وأما أهم التوصيات في نظر الباحثة فهي تنحصر في الآتي:

1- **بيان خطر الثقافة الغربية والتحذير منها.**
2- **بيان أهمية الثقافة الإسلامية ودورها في المجتمع.**
3- **لا بد من هيمنة الثقافة الإسلامية على الأفراد، وذلك من خلال الحث على التمسك بكتاب الله وسُنَّة النبوية المطهرة.**
4- **توحيد موقف المسلمين ضد الأفكار المنحرفة التي جاءت من الغرب، وبيان تأثيرها المدمر على الشباب المسلم.**
5- **الاعتناء بتربية النشء على منهج الإسلام؛ لتحصينهم من الغزو الغربي.**
6- **الاهتمام بالمناهج التعليمية، وإبعاد مظاهر الغزو منها.**
7- **تدريس مادة الثقافة الإسلامية في جميع كليات الجامعات.**

8- **التركيز على وسائل الإعلام وتنقيتها من الغزو الفكري .**
9- **الاهتمام بإيجاد المجامع الفقهية القادرة على معالجة مشاكل الواقع والمستجدات المعاصرة .**
10- **شرح أسس وقواعد الإسلام ونشرها للعالم الخارجي ؛ حتى يتعرف الشعوب الأخرى على محاسن الإسلام ، وما فيه من خير كبير .**
11- **مكافحة التبشير والتنصير في بعض بلاد إفريقيا الإسلامية، وذلك من خلال دعم هذه البلدان اقتصادياً وفكرياً .**

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السُنَّة النبوية المطهرة :

1) احذوا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، سعد الدين السيد صالح، الناشر : دار التقوى للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثالثة ، سنة النشر : (1415 ه – 1995م).
2) إرشاد العقل السليم، تأليف : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، بدون سنة النشر.
3) أساس البلاغة، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، سنة النشر : (1419 هـ - 1998 م).
4) الاستشراق والمستشرقين ما لهم وما عليهم ، تأليف : مصطفى بن حسني السباعي، الناشر : دار الوراق، سنة النشر : (1437 ه – 2018 م).
5) الإسلام دين العالمية لا العولمة ، تأليف : جمال البنا ، بدون ناشر، بدون سنة النشر .
6) الإسلام على مفترق الطرق، تأليف : محمد أسد و عمر فروخ ، الناشر : دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، بدون سنة النشر .
7) الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم مبروك، الناشر : مكتبة القاهرة مصر، الطبعة الأولى، سنة النشر : (1439 ه - 2019 م) .
8) الإسلام والمستقبل، تأليف: محمد عمارة، الناشر: دار الشروق، سنة النشر: (1430 ه – 2010 م).

9) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تأليف : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت - ، بدون سنة النشر.
10) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، تأليف: مصطفى الخالدي و عمر فروخ ، بدون ناشر، سنة النشر: (1426ه – 2006).
11) الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، تأليف: مصطفى مسلم وفتحي الزغبي، الناشر: دار إثراء للنشر والتوزيع – الأردن - ، سنة النشر : (1427 – 2007 م) .
12) الثقافة الإسلامية، تأليف: يوسف علي الطريف و أحمد عايش البدر الحسيني، الناشر: مكتبة الرشد ، الطبعة: الأولى، سنة النشر: (1428ه – 2009 م).
13) الثقافة الإسلامية، تأليف : علي عمر بادحدح، الناشر : دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة : السابعة، سنة النشر : (1436 ه – 2015 م).
14) الثقافة الإسلامية والتحديات الفكرية المعاصرة، تأليف : حسن عبد الغني أبو غدة، الناشر: جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، سنة النشر : (1438 هـ - 2017 م).
15) الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، إيمان عبد المؤمن سعد الدين، الناشر: مكتبة الرشد ، الطبعة الخامسة، سنة النشر: (1428 ه – 2008م).
16) جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت : 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، (1420 هـ - 2000 م).
17) رسالة المسلم في حقبة العولمة، تأليف: ناصر بن سليمان العمر، الناشر: موقع مسلم، بدون سنة النشر .

18) الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية، تأليف : عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، الناشر : مكتبة وهبة، سنة النشر : (1439 ه – 2018 م).

19) شرح الرسالة العبودية لابن تيمية، تأليف : عبدالرحمن بن صمايل العلياني السلمي، الناشر : موقع الشبكة الإسلامية، بدون سنة النشر.

20) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تأليف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: 573هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت – لبنان و دار الفكر - دمشق – سورية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: (1420 هـ - 1999 م) .

21) صفوة التفاسير، تأليف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة -، الطبعة: الأولى، سنة النشر: (1417 هـ - 1997 م).

22) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت -، بدون سنة النشر.

23) ظاهرة العولمة الواقع والآفاق، تأليف: الحبيب الجنحاني، بدون ناشر، سنة النشر: (1419ه - 1999م) .

24) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، تأليف: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، بدون ناشر، سنة النشر: (1435ه - 2015م) .

25) العولمة،: تأليف: محمد سعيد أبو زعرور، الناشر : دار البيارق - عمان – الأردن، الطبعة : الأولى، سنة النشر : (1419ه – 1998 م).

26) العولمة الغربية والصحوة الإسلامية، تأليف: عبد الرحمن بن زيد بن عبد الله الزنيدي، الناشر : دار إشبيليا – الرياض - ، سنة النشر : (1367 ه – 1967 م) .

27) العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، تأليف : أحمد مجدي حجازي، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون، الطبعة : الثانية، سنة النشر : (1419 ه – 1999م) .

28) العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر، تأليف: عابدين بن محمد السفياني، الناشر : دار الفضيلة، الطبعة : الأولى، سنة النشر : (1421ه - 2000م).

29) الغارة على العالم الإسلامي، تأليف: فرانسوا شاتليه، تحقيق : مساعد اليافي و محب الدين الخطيب، الناشر الدار السعودية للنشر، سنة النشر: (1429 ه – 2009 م).

30) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، تأليف : محمد أسد ، الناشر : مكتبة علماء الأزهر الشريف، سنة النشر: (1411ه – 1991 م) .

31) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، تأليف : عبد الستار سعيد ، الناشر: شبكة الألوكة، الطبعة: الرابعة، سنة النشر: (1408ه – 1988م).

32) فخ العولمة الاعتداءات على الديمقراطية والرفاهية، تأليف: هانس بيترمان، هارلد شومان، ترجمة :، عدنان عباس علي، الناشر: عالم المعرفة الكويت، سنة النشر : (1419 ه - 1998 م) .

33) الفكر والثقافة الإسلامية، تأليف : عدنان محمد زرزور ، الناشر : دار العربية للعلوم والمكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة: الرابعة: سنة النشر : (1410 ه – 1991 م).

34) في الفكر الإسلامي الحديث و التحديات المعاصرة، تأليف : عبد المقصود عبد الغني ، الناشر : مكتبة الزهراء، سنة النشر : (1416 ه – 1996 م) .

35) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تأليف : أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: 235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة : الأولى، سنة النشر : (1409ه – 1989م).

36) لسان العرب، تأليف : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت - ، الطبعة: الثالثة - (1414 هـ - 1994م) .

37) المحكم والمحيط الأعظم، تأليف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت - ، الطبعة : الأولى، سنة النشر (1421هـ - 2000 م).

38) مختار الصحاح، تأليف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت : 666هـ)، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية- بيروت – صيدا، بدون سنة النشر .

39) المدخل إلى الثقافة الإسلامية، تأليف الناشر عبد الإله بن محمد الملاَّ، الناشر جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية، سنة النشر : (1442ه – 2021 م) .

40) مذاهب فكرية معاصرة، تأليف: محمد قطب إبراهيم، الناشر: دار الشروق، الطبعة : التاسعة، بدون سنة النشر :

41) المسلمون والعولمة، تأليف : محمد قطب، الناشر دار الشروق – القاهرة - ، بدون سنة النشر .
42) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت : 770هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت - ، بدون سنة النشر .
43) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، تأليف : أحمد مختار عمر، الناشر: عالم الكتب - القاهرة - ، الطبعة: الأولى، سنة النشر: (1429 هـ - 2008 م).
44) المعجم العربي الحديث، تأليف : خليل الجسر، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، سنة النشر : (1397ه -1977 م) .
45) معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف : أحمد مختار عبد الحميد عمر (: 1424هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت – الطبعة : الأولى، سنة النشر : (1429 هـ - 2008 م).
46) المعجم الوسيط، تأليف : إبراهيم مصطفى وآخرون، الناشر : دار الدعوة - اسطنبول - تركيا، سنة النشر : (1409ه – 1989 م).
47) معجم ودراسة في العربية المعاصرة، تأليف : إبراهيم السامرائي ، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، سنة النشر: (1420 ه – 2000م) .
48) مقدمة في الثقافة الإسلامية، تأليف: عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام، الناشر : مكتبة الرشد، الطبعة : الأولى، سنة النشر : (1424 ه – 2004 م).
49) مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية، تأليف: أحمد عبد الرحيم السايح، الناشر : مركز الكتاب للنشر - القاهرة - ، بدون سنة النشر .
50) نحن والعولمة من يربي الآخر، تأليف: عبد الصبور شاهين ، رضوان السيد ، جلال أمين، الناشر : مجلة المعرفة – الرياض - ، بدون سنة النشر.

51) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين- المملكة العربية السعودية - ، سنة النشر: (1424 هـ - 2005 م).

52) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تأليف : أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، (1429ه - 2008م) .

53) واقعنا المعاصر، تأليف : محمد قطب إبراهيم ، الناشر : دار الشروق – . مؤسسة المدينة - ، سنة النشر : ((1407 ه - 1986م).

54) يوم الإسلام، تأليف: أحمد أمين، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، بدون سنة النشر .